رد الطعون في مركزية الشرق الأوسط في الرسالات السماوية:

دراسة تحليلية في الحكمة الإلهية والبعد الجغرافي

خطة بحث مقدمة لنيل درجة مادة مناهج البحث

إعداد الطالب:

يحي بن محسن الجديعي

الرقم الجامعي(G2327395)

إشراف:

الأستاذ الدكتور/نشوان المخلافي

كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية – ماليزيا

الفصل الثاني للعام الدراسي 2024–2025

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام

–المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن الرسالات السماوية كانت ولا تزال محطَّ اهتمام العقل البشري في شتى الأزمنة والأمكنة، إذ تعبّر عن أفقٍ غيبيٍّ يتصل بغاية الوجود ومعنى الحياة. ومما لا يخفى أن منطقة الشرق الأوسط كانت مهدًا للرسالات السماوية الثلاث الكبرى: اليهودية، والمسيحية، والإسلام. هذه الظاهرة الجغرافية الدينية، وإن كانت محلَّ قبول تقليديٍّ في الوعي الديني الإسلامي، فإنها أصبحت اليوم مثار تساؤلات واعتراضات في الفكر المعاصر، خاصة من قِبل بعض المفكرين الغربيين والعرب الذين رأوا في هذه المركزية الجغرافية نوعًا من التحيز الإلهي، أو قصورًا في عالمية الرسالة.

لقد أُثيرت في هذا السياق طعون فكرية متعدّدة، تشكك في الحكمة الإلهية من تموضع الرسالات في منطقة جغرافية واحدة، وتزعم أن هذا التمركز يتعارض مع العدالة الإلهية وحق بقية الشعوب في التلقّي المباشر للرسالات. وفي مقابل هذا الطرح، نجد في التراث الإسلامي نصوصًا وتفسيرات تؤكد أن هذا الاصطفاء المكاني يدخل ضمن الحكمة الإلهية الشاملة، التي تستوعب مقاصد الزمان والمكان والإنسان في آنٍ واحد.

ومن هنا، جاء هذا البحث ليُعالج هذه القضية من زاوية تحليلية تجمع بين النصوص الدينية والمفاهيم الفلسفية وفهم التحولات الجغرافية، محاولًا تقديم قراءة معمقة ومتوازنة لمفهوم "مركزية

الشرق الأوسط في الرسالات السماوية"، من حيث دلالاته، وأبعاده، ومجالات الطعن فيه، ثم الوقوف على الحكمة الإلهية الممكنة من هذا التمركز.

-الدراسات السابقة

١ .تاريخ الشرق الأوسط من خلال الكتب السماوية: القرآن نموذجًا، للباحث حسن محمد أحمد محمد (2020)، منشورة في مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، تناولت المكانة المركزية التي تميز بها الشرق الأوسط في السياق الديني، مبرزةً دوره التاريخي كمهدٍ للوحي والرسالات السماوية. وقد قسّم الباحث دراسته إلى أربعة محاور متكاملة، ركز أولها على عرض الشرق الأوسط كموضع اصطفاه الله لبعثة الأنبياء، وتناول الثاني المكانة الدينية للمسجد الأقصى، بينما ناقش الثالث الصراعات الدينية والسياسية بين العرب واليهود، ليختم بتحليل العلاقة بين النبي إسماعيل عليه السلام في كل من اليهودية والإسلام. ومن خلال هذا البناء، بيّنت الدراسة كيف أسهم الدين في تشكيل البنية السياسية والاجتماعية للمنطقة، مؤكدةً أن التداخل بين البعدين الديني والجغرافي كان عنصرًا حاسمًا في جعل هذه الرقعة من العالم مركزًا لرسالات السماء، وهو ما يتقاطع بوضوح مع فرضية هذا البحث في بيان الحكمة الإلهية وراء مركزية الشرق الأوسط رساليًا[1].

2-**إشكالية انحصار النبوة في الشرق الأوسط**[2] دراسة للباحث السيد علي الحسيني (2020)، نُشرت كمقال تحليلي ضمن موقع مركز الرصد العقائدي، وهي فصل بحثي مستقل من كتابه *أصالة الدين وفطرية الإيمان* .تتناول الدراسة واحدة من أبرز الإشكاليات المطروحة في الفكر الديني والفلسفي، والمتمثلة في التساؤل عن سبب حصر النبوة في منطقة الشرق الأوسط دون غيرها من بقاع العالم، وهي إشكالية طالما استُغلت في الخطاب الإلحادي لنقد الأديان السماوية. وقد عرض الباحث هذه الإشكالية من خلال ثلاثة محاور رئيسية،

[1] محمد، حسن محمد أحمد'' .تاريخ الشرق الأوسط من خلال الكتب السماوية: القرآن نموذجًا ''.مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع19 (2020)، ص19–46.

[2] لحسيني، السيد علي'' .إشكالية انحصار النبوة في الشرق الأوسط ''.مركز الرصد العقائدي.(27/10/2020)

تناول في أولها سؤال: لماذا لم يُرسل أنبياء إلى أمم خارج الشرق الأوسط؟ وفي الثاني: لماذا اقتصر الذكر القرآني للأنبياء على شعوب هذه المنطقة تحديدًا؟ ثم ختم المحور الثالث ببيان كيفية التوفيق بين هذا الواقع وبين عدل الله ورحمته ببقية البشر. وقد اعتمد الباحث منهجًا تحليليًا يجمع بين العقل والنص، مستندًا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الديني، ليبيّن أن هذا التركّز في الذكر لا يعني اقتصار النبوة على تلك الرقعة الجغرافية، وإنما يعود إلى حكمة بلاغية وواقعية، فذكر الأنبياء الذين كانت آثارهم لا تزال حاضرة في زمن نزول القرآن أقرب إلى إقامة الحجة على المخاطبين، مع التأكيد على أن الله أرسل رسلاً إلى كل أمة، وإن لم تصلنا أخبارهم مفصّلة. وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تقدم ردًا مباشرًا وموثقًا على الطعون المثارة حول مركزية الشرق الأوسط في الرسالات، مع تأصيل عقدي وفلسفي لعالمية النبوة وشمولية الرحمة الإلهية.

3–الأمة المُصطفاة.. قراءة في أسباب اختيار العرب محلاً لاستقبال الإسلام[3] –دراسة تحليلية –للدكتور خالد فهمي، نُشرت في مجلة المجتمع الكويتية بتاريخ 25 سبتمبر 2023، تناول فيها الحكمة الإلهية من اصطفاء الأمة العربية وجغرافيتها مهدًا لآخر الرسالات السماوية، وهي رسالة الإسلام. انطلق الكاتب في تحليله من فرضية أن البيئة العربية تميزت بجملة من الخصائص التي جعلتها أكثر استعدادًا لحمل أمانة الدعوة ونشرها، ومن أبرزها حالة العزلة النسبية عن الانحلال الحضاري الذي ساد الإمبراطوريات الكبرى، واحتفاظ العرب بصفاء فطري بعيد عن التعقيد الفلسفي والانحرافات العقدية. كما أشار إلى السمات الثقافية للأمة العربية، مثل حبها للحرية، وغياب السلطة المركزية القهرية، وهي عوامل وفرت قابلية فكرية واجتماعية لاستقبال دعوة تقوم على التوحيد والاختيار الواعي. ولم يغفل الباحث البُعد الجغرافي، حيث أبرز موقع الجزيرة العربية كممر تجاري وملتقى طرق يربط بين حضارات فارس والروم والحبشة، مما جعلها مركزًا حيويًا قابلًا لنقل الرسالة إلى أرجاء العالم. وتُعد هذه

[3] فهمي، خالد" .الأمة المصطفاة.. قراءة في أسباب اختيار العرب محلاً لاستقبال الإسلام ".مجلة المجتمع الكويتية، 2023/9/25.

الدراسة إضافة نوعية لموضوع البحث، إذ تُبرِز بوضوح كيف أن الحكمة الإلهية في اختيار قلب الشرق الأوسط لختام الرسالات السماوية لم تكن اختيارًا اعتباطيًا، بل تأسست على جملة من المعطيات الجغرافية والثقافية والتاريخية التي جعلت من العرب بيئة حاضنة ومؤهلة لحمل نور الإسلام إلى البشرية جمعاء.

4. Why Were Most Prophets Sent to the Middle East? – *Islam M. Fakhrul*[4]

دراسة منشورة باللغة الإنجليزية للباحث إسلام إم. فخرول، نُشرت في مايو 2025 على منصةResearchGate ، تتناول بالدراسة التحليلية الأسباب الجغرافية والدينية والتاريخية التي جعلت من الشرق الأوسط مركزًا لبعثة معظم الأنبياء. يؤكد الباحث أن هذه المنطقة لم تحظَ بتلك الخصوصية الرسالية مصادفة، بل كانت مؤهلة من حيث الموقع والبيئة والثقافة والدور الحضاري لتكون مهدًا للتوحيد، مشيرًا إلى أن الحضارات القديمة الكبرى التي نشأت فيها، مثل السومرية والبابلية والفرعونية، قد وفرت خلفية فكرية وروحية كانت مهيأة لتلقي الرسالة الإلهية وتداولها. كما شدّد على أهمية الموقع الجغرافي الوسيط للشرق الأوسط بين القارات الثلاث القديمة (آسيا، إفريقيا، أوروبا)، مما جعله نقطة وصل أساسية في طرق التجارة والمعرفة والتفاعل الثقافي، وهو ما ساعد على سرعة انتشار الدعوات الدينية من تلك الرقعة إلى العالم. واستند الباحث إلى نصوص قرآنية تشير إلى شمولية الرسالة الإلهية، مع تفسير تركّز ذكر الأنبياء في تلك المنطقة بأنه من باب العبرة التاريخية والتأثير الثقافي، لا الحصر الرسالي. وتكتسب هذه الدراسة قيمتها في سياق هذا البحث من كونها تجمع بين التحليل

[4] Fakhrul, Islam M. "Why Were Most Prophets Sent to the Middle East?" ResearchGate, May 2025.

الجغرافي والتأصيل الديني لتفسير ظاهرة تركّز النبوات في منطقة الشرق الأوسط، مؤكدةً أن هذا التركّز كان نتاجًا لحكمة إلهية وتخطيط تاريخي وليس انغلاقًا جغرافيًا.

5–فلسطين: مهد الديانات – دراسة في التاريخ القديم[5] –كتاب أكاديمي للباحثين علي محمود وهويدا حامد، صدر عام 2017 عن دار شهرزاد في عمّان، يقدم دراسة تاريخية وأثرية موسعة حول دور فلسطين في نشأة الرسالات السماوية في العصور القديمة، مع تركيز خاص على اليهودية والمسيحية. يستعرض المؤلفان التسلسل الحضاري في منطقة فلسطين وكنعان، موضحين كيف تعاقبت عليها حضارات كبرى أسهمت في تشكيل بنيتها الدينية والثقافية، كما يتتبعان عبر الآثار والنقوش مدى ترسّخ التوحيد في هذه البقعة منذ أزمان سحيقة. وقد خُصِّص جزء مهم من الكتاب لتحليل المكانة الدينية للمدن المقدسة، وعلى رأسها القدس (أورشليم)، بوصفها موضعًا جوهريًا في العقيدة اليهودية، ومهدًا للمسيحية الأولى. ويذهب الباحثان إلى أن الموقع الجغرافي لفلسطين، الذي يتوسط خطوط التواصل بين مصر وبلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية، جعل منها ملتقى طبيعيًا للرسالات الإلهية، وبيئة مؤهلة لاحتضان الوحي والتفاعل مع رموزه. وتكتسب هذه الدراسة أهميتها في إطار هذا البحث من خلال ما تؤكده من أن بلاد الشام، وفي قلبها فلسطين، كانت ولا تزال جزءًا جوهريًا من مركزية الشرق الأوسط الرسالية، لا سيما في ما يخص الديانتين اليهودية والمسيحية، الأمر الذي يُثري المنظور المقارن ويسند فكرة البعد الجغرافي المقصود في مسار الوحي الإلهي.

6– Akhenaten and the Origins of Monotheism – James K. Hoffmeier (2015[6]

[5] محمود، علي &حامد، هويدا .فلسطين: مهد الديانات – دراسة في التاريخ القديم .عمّان: دار شهرزاد، 2017.

[6] Hoffmeier, James K. Akhenaten and the Origins of Monotheism. Oxford University Press, 2015.

كتاب أكاديمي صدر عام 2015 للمؤلف James K. Hoffmeier عن مطبعة جامعة أكسفورد، يقدّم دراسة تاريخية دينية معمّقة حول أصول التوحيد في الشرق الأدنى القديم من خلال تتبع تجربة الفرعون المصري أخناتون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، والذي يُعدّ من أوائل الشخصيات التاريخية التي دعت إلى عبادة إله واحد هو "آتون". يجادل المؤلف بأن هذا التوجه لم يكن خروجًا عرضيًا عن السياق الديني المصري، بل امتدادًا طبيعيًا لتطوّر فكري وإيماني داخل بنية عقائدية مهيأة، وأن مشروع أخناتون التوحيدي قد يكون مهد لاحقًا لتبلور فكرة التوحيد التي ظهرت بوضوح في الرسالات الإبراهيمية. كما يقارن الكتاب بين تجربة التوحيد في مصر وتجلياتها في منطقة الشام ضمن الرسالات السماوية اللاحقة، وخاصة في اليهودية. وتُبرز هذه الدراسة كيف أن الشرق الأوسط، بامتداده من وادي النيل إلى بلاد الشام، كان حاضنًا مبكرًا لنزعات التوحيد، وهو ما يعزز التصور القائل بأن الرسالات السماوية الكبرى لم تنطلق من فراغ، بل جاءت في سياق جغرافي وفكري ممهَّد. وتكتسب هذه الدراسة أهميتها في سياق هذا البحث من خلال تقديم بُعد تاريخي مقارن يدعم فرضية مهدية الشرق الأوسط للرسالات، ويُظهر أن اختيار هذه البقعة الجغرافية لحمل الرسالة الإلهية لم يكن وليد لحظة، بل نتيجة تراكمات روحية وفكرية ضمن مشهد حضاري مهيّأ لاستقبال الوحي.

.7فتوى[7]: **الرد على شبهة تخصيص إرسال الرسل في بلاد العرب وما جاورها**، صادرة عن موقع إسلام ويب (رقم الفتوى 379108) بتاريخ 12 يوليو 2018، تمثّل معالجة عقدية موثّقة لإحدى الشبهات التي يُثيرها بعض المعترضين على الرسالات السماوية، والمتعلقة باقتصار بعثة الأنبياء على منطقة الشرق الأوسط، وبالأخص نسل إبراهيم عليه السلام. تذهب الفتوى إلى أنه لا يوجد في النصوص الشرعية ما يدل على انحصار النبوة جغرافيًا في تلك المنطقة، بل جاء في القرآن الكريم التصريح بإرسال رسل إلى كل أمة، كما في

[7] islamweb.netislamweb.net إسلام ويب – مركز الفتوى" .الرد على شبهة تخصيص إرسال الرسل في بلاد العرب وما جاورها "رقم الفتوى 379108، نشر 12-7-2018.

قوله تعالى" :**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**"، مما يدل على عالمية الرسالات وشمول الهداية الإلهية لكل شعوب الأرض. وتُوضح الفتوى أن اقتصار الذكر القرآني على أنبياء الشرق الأوسط لا يعني انحصار النبوة، وإنما هو اختيار بلاغي إلهي لحكمة تتعلق بتأثير القصص في المخاطَبين من العرب، الذين يعرفون تاريخ تلك الأقوام ويشاهدون آثارهم، مما يجعل العبرة أبلغ وأشد وقعًا. وتنقل الفتوى قول العلامة ابن عاشور في تفسير هذه الحكمة، كما تستشهد بالأحاديث التي تشير إلى أن عدد الأنبياء بلغ 124 ألفًا، مما يعزز فكرة أن النبوة لم تكن مقصورة على منطقة بعينها، وإن لم يصلنا سوى أخبار من عُرف تاريخهم وأثرهم. وتُعد هذه الفتوى مرجعًا فقهيًا وعقديًا يعزز الموقف العلمي في الرد على الطعن في مركزية الشرق الأوسط، حيث تُثبت أن التركيز الجغرافي في الذكر لا يعني الحصر، بل هو من مقتضيات البلاغ والاحتجاج، وتؤكد بذلك شمول الرسالة الإلهية، مع بيان الحكمة الربانية في اختيار تلك البقعة المباركة لانطلاق الرسالات الكبرى.

الفجوة البحثية:

رغم تعدد الدراسات التي تناولت مركزية الشرق الأوسط في الرسالات السماوية، سواء من الزاوية التاريخية أو الجغرافية أو العقدية، إلا أن معظم هذه الجهود جاءت متفرقة في تناولها، ومحدودة في قدرتها على الربط التحليلي بين الحكمة الإلهية من جهة، والبعد الجغرافي من جهة أخرى، في سياق الرد على الطعون المعاصرة التي تتهم الرسالات السماوية بالانغلاق المكاني أو التحيز الثقافي. فبعض الدراسات ركزت على سرد تاريخي لنزول الوحي في الشرق الأوسط، وأخرى ناقشت الجوانب الفقهية أو الاستشراقية بصورة جزئية، دون تقديم معالجة شاملة تربط بين الأبعاد العقدية والنصوصية والجغرافية في تفسير هذه الظاهرة. كما أن الردود المتوفرة غالبًا ما جاءت في سياقات وعظية أو دفاعية غير منهجية، أو افتقرت إلى بناء تحليلي يعالج الإشكال من منظور معرفي نقدي. من هنا، تنبع أهمية هذا البحث في سد هذه الفجوة من خلال تقديم دراسة تحليلية متكاملة، تستند إلى النصوص الدينية والمعطيات الجغرافية

والتاريخية، لتفسير مركزية الشرق الأوسط في الرسالات السماوية، وبيان الحكمة الإلهية من هذا الاصطفاء المكاني، مع تفكيك أبرز الطعون المثارة في هذا المجال ضمن إطار علمي رصين.

-مشكلة البحث

أثارت بعض الاتجاهات الفكرية المعاصرة، خصوصًا في دوائر الفلسفة اللاهوتية الغربية والدراسات ما بعد الكولونيالية، إشكالية مفادها: كيف يمكن قبول مركزية منطقة جغرافية واحدة (الشرق الأوسط) في الرسالات السماوية، بينما يُفترض في الخالق أن يبعث أنبياءً إلى كل أمة وفي كل مكان؟ وهل في هذا التمركز الجغرافي شكلٌ من أشكال الحصر أو التحيّز الإلهي؟ أم أن هناك بُعدًا أعمق يرتبط بالحكمة الإلهية والمقاصد الربانية في توجيه الوحي من هذه البقعة بالذات؟

-أسئلة البحث

1. ما مفهوم مركزية الشرق الأوسط في الرسالات السماوية؟ وما الاتجاهات الفكرية المعاصرة الناقدة لها؟
2. ما أوجه الطعن التي طرحها بعض علماء ومفكري العصر الحديث في هذه المركزية، وما خلفياتها الفلسفية والدينية؟
3. كيف يمكن فهم الحكمة الإلهية من تمركز الرسالات السماوية في الشرق الأوسط؟
4. ما مدى توافق هذا التمركز الجغرافي مع عالمية الرسالات وخطابها الشمولي للإنسانية كافة؟

-أهداف البحث

1. بيان مفهوم مركزية الشرق الأوسط في الرسالات السماوية وأنواع الطعون المعاصرة فيها.
2. تحليل أبرز الاعتراضات الفكرية المعاصرة حول مركزية الشرق الأوسط في الرسالات.
3. استكشاف أوجه الحكمة الإلهية في تموضع الرسالات السماوية في هذه المنطقة.
4. إثبات عدم تعارض التمركز الجغرافي مع شمولية الرسالات وخطابها الكوني.

-أهمية البحث

(أ) الأهمية العلمية

- يُعد هذا البحث محاولةً نادرة للتعامل مع مسألة جغرافية دينية مركزية بأسلوب تحليلي علمي.
- يدمج بين دراسات فلسفة الدين والدراسات الجغرافية التاريخية.
- يسهم في تعزيز النظرة المقاصدية لتموضع الوحي والنبوة.

(ب) الأهمية العملية

- يُسهم في الرد على الشبهات الفكرية حول تحيّز الرسالات.
- يقدم مادة فكرية نافعة في مجال الحوار الديني والثقافي بين الشعوب.
- يعزز فهمًا رشيدًا للمسلمين تجاه تاريخ الرسالات وعالميتها دون ارتباك جغرافي.

–حدود البحث

- المجال الجغرافي :يركز البحث على منطقة الشرق الأوسط كمجال لظهور الرسالات السماوية.
- المجال الموضوعي :يدرس الرسالات الإبراهيمية الثلاث فقط.

–منهجية البحث

- المنهج الاستقرائي :لجمع النصوص وتحليل أقوال المفكرين وتتبّع مواقع الرسالات.
- المنهج النقدي :لنقد الأطروحات المعاصرة حول "التحيّز الجغرافي" و"العدالة الإلهية."
- المنهج المقارن :للموازنة بين الرسالات الثلاث في تموضعها الجغرافي وخطابها الكوني.

–أدوات جمع المواد وتحليلها

- تتبع النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية والكتب السماوية الأخرى.
- تحليل أطروحات فلاسفة الأديان واللاهوتيين المقارنة.
- فحص المقالات النقدية الحديثة.
- عرض النماذج التاريخية للمواقع التي بُعث فيها الأنبياء وتحليل دلالتها.

هيكلة البحث

الفصل الأول: المقدمة

1. التمهيد
2. الدراسات السابقة
3. مشكلة البحث
4. أسئلة البحث
5. أهداف البحث
6. أهمية البحث
7. حدود البحث
8. منهجية البحث

الفصل الثاني: المفاهيم النظرية والطروحات النقدية

المبحث الأول: التعريفات للألفاظ الرئيسية

- الطعون
- المركزية
- الشرق الأوسط
- الرسالات السماوية
- الحكمة الإلهية
- البعد الجغرافي

المبحث الثاني: مفهوم المركزية الدينية والجغرافية

- مركزية مكة في العقيدة والعبادة
- مركزية بلاد الشام رساليًا
- مناطق مباركة أخرى في الشرق الأوسط

المبحث الثالث: عالمية الرسالات في النصوص السماوية

الفصل الثالث: الحكمة الإلهية في اختيار الشرق الأوسط

المبحث الأول: الدلالات العقدية والروحية في اختيار الزمان والمكان

المبحث الثاني: البيئة الثقافية واللغوية للعرب

المبحث الثالث: النصوص المؤسسة لاختصاص المنطقة بالوحي

الفصل الرابع: الطعون المعاصرة والرد عليها

المبحث الأول: أبرز الطعون الفكرية المعاصرة في مركزية الشرق الأوسط

المبحث الثاني: الردود العقدية والعقلية على الطعون

المبحث الثالث: حكمة تركيز الرسالات في ذرية إبراهيم عليه السلام

المبحث الرابع: الاعتبارات الجغرافية والحضارية لظهور الرسالات

الفصل الخامس: عالمية الرسالة ومركزية الشرق الأوسط المعاصرة

تمهيد الفصل

المبحث الأول: كيف تحققت عالمية الرسالة رغم انطلاقها من الشرق الأوسط

المبحث الثاني: مركزية الشرق الأوسط في الوعي السياسي والديني المعاصر

الخاتمة

- ملخص النتائج

- التوصيات
- مقترحات للباحثين مستقبلًا

قائمة المراجع

الفصل الثاني: المفاهيم والأسس النظرية

تمهيد الفصل

تُعدّ مركزية الشرق الأوسط في الرسالات السماوية إحدى القضايا الإشكالية التي أثارت اهتمام الباحثين والمفكرين في مجالات الأديان والتاريخ والجغرافيا السياسية، إذ ترتبط هذه الفكرة بظهور معظم الأنبياء والرسالات الكبرى في إقليم جغرافي محدد يمتد من وادي النيل إلى أرض الحجاز وبلاد الشام والعراق. وقد تباينت المواقف حول هذه الظاهرة بين من يراها تجليًا لحكمة إلهية قائمة على مقتضيات الزمان والمكان، وبين من يطعن في عدالتها أو يشكك في عالميتها.

يسعى هذا الفصل إلى تأصيل المفاهيم النظرية الأساسية المرتبطة بعنوان البحث، كمفهوم "المركزية" و"الشرق الأوسط" و"الرسالات السماوية"، كما يستعرض أبرز الطروحات النقدية التي تناولت هذه المركزية إما بتشكيك عقدي أو تفسيرٍ ماديٍّ تاريخي. ويهدف ذلك إلى تمهيد الأرضية المعرفية لمناقشة الجدل القائم بين التفسير الإلهي والتأويل الجغرافي للرسالات السماوية.

المبحث الأول:التعريفات للألفاظ الرئيسية

أولًا :الطُّعون

تدل كلمة "الطعن" في اللغة على الضرب بالرمح أو الحربة، ويُقال: "طعنه بالرمح طعنًا"، ويُستعمل كذلك في المعنى المجازي بمعنى الوقيعة والذم بالقول، كما في "طعنه بلسانه"، أي عابه وانتقصه بالكلام.

وقد ورد في *لسان العرب* لابن منظور، مادة (طعن)، أن "طعن عليه: ثلبه"، أي عابه وطعن في عرضه[8].

وجاء في الحديث الشريف: «لا يكون المؤمن طعّانًا»، أي لا يُكثر من القدح والذم في الناس، وهو استخدام شرعي يدعم المعنى المجازي للكلمة في سياق الكلام[9].

كما تُستخدم كلمة "الطُّعون" بصيغة الجمع للدلالة على الانتقادات والافتراءات التي يوجهها البعض تجاه الأشخاص أو المبادئ.

ثانيًا :المركزية

كلمة "مركز" مأخوذة من "مرْكز الدائرة"، أي وسطها، كما ورد في *لسان العرب*، وهو الموضع الثابت الذي يُطلب من الشيء أن يلتزمه ولا يبارحه. يقال: "مركز الجند" أي المكان الذي يُؤمر الجند بالمكوث فيه[10].

وجاء في *مختار الصحاح* أن "المركز هو وسطُ الدائرة، وموضعُ الرجل ومحله، وحيثُ أُمر الجند أن يلزموه."[11]

---

[8] ابن منظور، لسان العرب، الجزء التاسع، مادة (طعن)، ص 265–266.

[9] المصدر السابق

[10] ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مادة (ركز)، ص 30 كما ورد في النسخة الإلكترونية على موقع إسلام ويب، 2024م.

[11] الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – صيدا، الطبعة الأولى، 1999م، ص 128، مادة (ركز).

أما "المركزية" فهي مصدر صناعي حديث يُشتق من كلمة "مركز"، وتُطلق على النظام الذي تُدار فيه الأمور من مركز رئيسي واحد. وقد عرّفها *المعجم الوسيط* بأنها: "نظامٌ يقضي بتبعية الأمور لمركز رئيسي واحد"، ويُستخدم هذا المعنى في السياسة والإدارة[12].

ثالثًا :الشرق الأوسط

الشرق (لغةً):

كلمة "الشرق "مأخوذة من الفعل "شَرَقَت الشمس"، أي طلعت وظهرت من جهة المشرق، وهي الجهة التي تُقابل الغرب في الاتجاه الجغرافي. وتدل مادة "شرق" في اللغة العربية على الضياء والسطوع والطلوع، وتحديدًا طلوع الشمس، فهي أصل المعنى الذي يُبنى عليه مفهوم الشرق كجهة مكانية وقد ورد في *لسان العرب*:

والشَّرْقُ: نقيض الغرب، و"شرقت الشمس" إذا طلعت، و"المشرق" هو موضع شروقها[13]

الأوسط (لغةً)

" كلمة "الأوسط "هي اسم تفضيل مأخوذ من "وسط"، وتُطلق في اللغة على ما كان بين طرفين، وهي تدل على الاعتدال والخيرية .فـ"وسط الشيء" هو أفضلُه وأعدله، ولهذا جاء في الحديث الشريف:

«خِيارُ الأمور أوساطها»

.أي أن التوسط محمود، وهو أقرب للعدل والاتزان

وقد فسر ابن منظور ذلك بقوله:

---

[12] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط4، 2004، مادة (زكز).

[13] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، الطبعة الأولى، دار صادر – بيروت، 1994م، الجزء العاشر، ص 174، مادة (شرق).

"فلما كان وسط الشيء أفضلَه وأعدله، جاز أن يقع صفة"، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي أمة عدلًا.

كما فرّق ابن منظور بين "وسط "و**"وسْط"** (بسكون السين)، فالأول اسم متمكن يدل على الجزء الذي هو من الشيء، مثل "وسط الرأس"، أما الثاني (وسْط) فهو ظرف مكان يدل على التوسط الظرفي، مثل "جلست وسْط القوم"، أي بينهم[14].

الشرق الأوسط (اصطلاحًا)

مصطلح "الشرق الأوسط "ليس مصطلحًا تراثيًا عربيًا أو إسلاميًا، بل هو تعبير جغرافي-سياسي مستحدث نشأ في سياقات استعمارية غربية. وتعود بدايات ظهوره إلى اللقاءات الأولى بين الشرق والغرب في العصر الحديث، حين أطلقت أوروبا اسم "الشرق الأدنى "على القسم الجنوبي الغربي من آسيا المتاخمة لها، وذلك بشكل غير محدد المعالم.

ثم ما لبثت الولايات المتحدة الأمريكية أن اقتبست هذا الاصطلاح وأضافت إليه مناطق أخرى، بعضها أقرب إلى "الشرق الأقصى" منها إلى "الشرق الأدنى"، مما جعله مصطلحًا غير مستقر من حيث الجغرافيا.

وقد ظل تعبير "الشرق الأدنى "شائع الاستعمال حتى اندلا ع الحرب العالمية الثانية، حيث أنشأت الحكومة البريطانية منطقة عسكرية امتدت من إيران إلى ليبيا، وأطلقت عليها اسم "الشرق الأوسط ."وكان هذا التعبير آنذاك يشمل حتى الهند والبلدان المجاورة لها.

[14] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، 1994م، الجزء السابع، ص 428، مادة (وسط).

ثم تأسس في القاهرة مركز تموين الشرق الأوسط، الذي تحوّل لاحقًا إلى مشروع إنجلو-أمريكي مشترك، فأصبح المصطلح شائعًا ومستقرًا في الدلالة على منطقة جغرافية تشمل غرب آسيا وشمال إفريقيا، وتحديدًا البلدان الواقعة في قلب العالم القديم[15].

الرسالات السماوية (تعريف لغوي وشرعي)

الرسالة في اللغة مأخوذة من "أرسل"، وتعني ما يُبعث به إلى الغير من قول أو كتاب. ومن ذلك قيل: "أرسلت فلانًا برسالة"، فهو مرسَل، والرسالة ما يُرسل من الأخبار.
وقد جاء في *لسان العرب*" :الرسول في اللغة هو الذي يتابع أخبار من بعثه، وسُمي رسولًا لأنه ذو رسالة"، وهو مشتق من تتالي الإبل في ورودها، فقيل: جاءت الإبل رسلًا، أي متتابعة[16].

الرَّسُول شرعًا: هو الإنسان المكلّف من الله بإبلاغ الناس رسالة سماوية، أي وحي إلهي يتضمن عقيدة وشريعة.

الرسالات السماوية اصطلاحًا: هي مجموع ما أوحى الله به إلى رسله لهداية البشرية، وهي تأتي متضمنة العقائد والأوامر والنواهي، وغالبًا ما يُقصد بها الكتب السماوية الكبرى مثل التوراة، الإنجيل، والقرآن.

الحكمة الإلهية

الحِكمة لغةً: تدور على معاني المنع من الفساد، والإتقان، والعلم، والرأي الصائب. ومن ذلك قول العرب: "أحكمت الشيء" أي أتقنته ومنعته من الخلل، وقولهم: "حَكَمَ فلان" أي بلغ النهاية في الفهم والرأي.
وقد ورد في *لسان العرب*:

---

[15] زكريا إبراهيم، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار مصر للطباعة، ص 30.

[16] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط1، 1994م، ج11، ص 284، مادة (رسل).

"الحِكْمَةُ: العدل. ورجل حكيم: عادلٌ حليم. وأحكمَ الشيءَ: أتقنه. واستُعملت الحكمة في وصف القرآن، لأنه محكم الآيات، مفصل المعاني، جامعٌ لما تحتاج إليه الأمة من أمر الدين[17]".

الحكمة الإلهية اصطلاحًا :هي تصرف الله تعالى في خلقه على وفق ما تقتضيه الغاية من الخلق، على وجهٍ من الكمال المطلق، خالٍ من العبث، محقق للعدل، ومؤسس على علمٍ مطلق بمصالح العباد في الدنيا والآخرة.

البعد الجغرافي

من حيث اللغة

ورد في "معجم اللغة العربية المعاصرة "ما يلي:

"بُعدٌ :"مصدر بعُد، ويُقصد به المسافة أو مدى التباعد بين أمرين. ويستعمل في دلالات متعددة مثل :بُعد الشُّقة (اتساع المسافة)، وبُعد النظر (عمق التفكير)، وبُعد ثقافي أو حضاري (امتداد غير محسوس)، كما يقال :على بُعد خطوات (قريب جدًّا)، أو عن بُعد من (مسافة بعيدة)[18] .

من حيث النسبة الجغرافية

"الجغرافي" منسوب إلى الجغرافيا، وهي علم وصف الأرض وظواهرها الطبيعية والبشرية. والمصطلح مأخوذ عن اليونانية *Geo-graphia* أي: وصف الأرض[19]

---

[17] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط1، 1994م، ج12، ص 143، مادة (حكم).

[18] معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط1، 2008م، ج1، ص 225–226.

[19] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، ج1، ص 97.

ثالثًا: المعنى الاصطلاحي

البُعد الجغرافي يُقصد به:

المسافة الفاصلة أو الامتداد المكاني الذي يفصل بين كيانين أو ظاهرتين، ويؤثر في العلاقة أو في تفسير الظاهرة محل الدراسة، سواء كانت هذه المسافة مادية محسوسة، أو معنوية ذات أثر مكاني في الفهم والتحليل (كما في البُعد الديني أو الرسالي أو السياسي).

المبحث الثاني: مفهوم المركزية الدينية والجغرافية

المطلب الأول: مركزية مكة في العقيدة والعبادة

تمثل مكة المكرمة في الرؤية الإسلامية موضعًا فريدًا يجمع بين البعد الجغرافي والروحي، حيث تُصوَّر في المرويات التفسيرية والحديثية كمركز اليابسة، ومركزًا رمزيًا للعبادة والتوحيد. وقد اتخذ هذا التصور بعدًا عقديًا يعزز من شرعية موقع مكة باعتبارها مهد الرسالة الإبراهيمية وملتقى الأمة الإسلامية في شعائرها الكبرى.

1–مكة مركز الأرض اليابسة

أطلق القرآن على مكة وصف "أم القرى"، وهو ما فسره المفسرون على أنه إشارة إلى كونها أصل الأرض، ومركز انتشار اليابسة منها. يقول الإمام الطبري: "وسمّيت مكة أمّ القرى لأن الأرض دُحيت من تحتها، فصارت سائر القرى من حولها فهِي أمُّهُنّ.[20]"

وهذا ما يؤكده أثر قتادة: "بلغنا أن الأرض دُحيت من مكة"، كما أورد كعب الأحبار أن البيت الحرام كان على وجه الماء، ثم مدت الأرض من تحته. وتدل هذه الأقوال، وإن كان بعضها من الإسرائيليات، على تصور مركزي يُعلي من مكانة مكة جغرافيًا ضمن سردية الخلق.

2–وسطية الكعبة في التوجيه الديني

جاء تحويل القبلة إلى الكعبة في سورة البقرة دليلاً على مركزية المكان في التوحيد، إذ قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143].

[20] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ج1، ص 108.

وقد فُسّر ذلك –كما ينقل القرطبي – بمعنيين متكاملين: وسطية الأمة في الاعتقاد والسلوك، ووسطية الكعبة في الموقع الجغرافي، إذ قال بعض السلف: "وكما أن الكعبة وسط الأرض، كذلك جعلناكم أمة وسطًا.[21]"

وقد فسّر الراغب الأصفهاني لفظ "مكة" في ضوء هذا المعنى، فقال: "سميت بذلك لأنها وسط الأرض كالمخ في العظم"، مما يعكس تصورًا موغلًا في الرمزية المكانية[22].

3–أول بيت وضع للناس

تشير الآية الكريمة إلى أن الكعبة هي أول موضع للعبادة على وجه الأرض:
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: 96].

وقد نقل السدي –كما أورد الطبري – أن مكة سُمّيت "أم القرى" لأنها أول بلدة وُضع فيها البيت. وهذا يدعم فكرة أن العبادة بدأت من تلك البقعة، ما يمنحها أسبقية روحية ضمن التسلسل الزمني للرسالات.[23]

4–التوجه إلى القبلة كمظهر من مظاهر المركزية

من تجليات مركزية مكة أن المسلمين مأمورون بالتوجه إليها في صلواتهم اليومية، مما يجعلها بؤرة شعائرية دائمة. وقد أشار المناوي إلى هذه المعاني في شرحه للحديث النبوي الذي جاء فيه: "ثم مُدت منها الأرض"، فقال: "أي بُسطت الأرض من تحت موضع الكعبة، فهي وسط الأرض وقطبها.[24]"

---

[21] أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، 1384هـ، ج2، ص 153.

[22] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، 2002م، ج1، ص 470–471.

[23] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ج3، ص 345.

[24] عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية، مصر، 1356هـ، ج3، ص 108.

وعلى الرغم من أن بعض الروايات التي تشير إلى بدء الخلق من مكة ضعيفة السند، فإن عددًا من العلماء تلقوها بالقبول من باب الاستئناس، ورأوا في مضمونها دعمًا لمركزية الكعبة بوصفها محورًا للخلق والعبادة.

المطلب الثاني: بلاد الشام ومركزيتها الرسالية في النصوص الدينية

تُعد بلاد الشام – بما تضم من فلسطين والأردن وسوريا ولبنان – من أكثر المناطق حضورًا في الخطاب الديني الإسلامي والكتابي، وقد اقترنت في القرآن والسنة بمفردات البركة والهداية، وكان لها حضور محوري في مسيرة النبوة والتاريخ الرسالي، وكذلك في تصوّرات آخر الزمان. ويمثّل ذلك بُعدًا إضافيًا في مركزية الشرق الأوسط، يعزز من التفسير العقدي لاختيار هذه المنطقة لتكون حاضنة للرسالات.

1–البركة الجغرافية في القرآن الكريم

جاء ذكر بلاد الشام في القرآن بوصفها أرضًا مباركة، ومن أوضح النصوص في ذلك قوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء: 1)

وقد فسّر الطبري "البركة" هنا بأنها تشمل الخصب وكثرة الأنبياء، والرسالات، والعلم، مما يجعل البركة وصفًا معنويًا وروحيًا لا ماديًا فقط[25].

ويقول الله عز وجل في موضع آخر:

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 71)

[25] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، ج15، ص 5.

وقد أجمع المفسرون على أن المقصود بالأرض المباركة هنا هو بلاد الشام، كما نقل ذلك الرازي عن جمهور المفسرين، مشيرًا إلى أن البركة فيها دنيوية ودينية، حيث إنها مهد النبوة وأرض الفتوحات[26].

2–موطن الأنبياء ومسرح الرسالات الكبرى

تعتبر بلاد الشام الموطن التاريخي أو محطة المرور لأكثر من نبي من أنبياء الله، ومن أبرزهم:

- **إبراهيم عليه السلام** :هاجر إلى الشام واستقر في فلسطين (الخليل).
- **لوط عليه السلام** :بعث إلى قرى سدوم وعمورة جنوب البحر الميت.
- **يعقوب ويوسف عليهما السلام** :نشأ في أرض كنعان.
- **المسيح عليه السلام** :ولد وعاش في الناصرة وبُعث في بيت المقدس.

وقد علّق ابن تيمية على هذا الحضور الرسالي بالقول: "بيت المقدس قبلة جميع الأنبياء قبل الإسلام، وهو مسجدهم الأكبر.[27]"

وتُظهر هذه الوقائع التاريخية أن بلاد الشام لم تكن مجرد محطة جغرافية، بل فضاءً استُخدم لتكثيف التجارب النبوية، ما يعزز فكرة الاصطفاء الوظيفي للجغرافيا، لا العرقي أو القومي.

3–فضائل الشام في السنة النبوية

جاءت أحاديث كثيرة تثني على بلاد الشام وتربطها بخصائص عقدية ووظيفية في الأمة، منها: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا[28]» «عُقر دار الإسلام بالشام[29]»

---

[26] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، ج22، ص 178.

[27] أحمد بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة، الرياض، ج2، ص 122.

[28] رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، حديث رقم 7094.

[29] رواه الطبراني، المعجم الكبير، دار إحياء التراث العربي، ج7، ص 289.

قال النووي في شرحه: "فضائل الشام متواترة في الأحاديث، ومنها أنها تكون دار الإيمان عند اشتداد الفتن، مما يجعلها موضع اصطفاء متجدد لا ينقطع[30]."

4–الشام في أحداث آخر الزمان

تكثُر الروايات التي تجعل بلاد الشام ساحة لأهم الأحداث المستقبلية، ومن ذلك:

- **نزول المسيح عيسى عليه السلام** عند المنارة البيضاء شرق دمشق[31].
- **الملحمة الكبرى** بين المسلمين والروم تكون في الغوطة، قرب دمشق[32].

قال ابن كثير: "الشام في هذه الأحاديث هي دار الملاحم والفتن، وموضع الحسم في صراع الحق والباطل، وهذا يعكس مركزيتها المتجددة في أقدار البشرية[33]."

خاتمة المطلب

من خلال تتبع النصوص القرآنية والحديثية، والتاريخ الرسالي، يتضح أن بلاد الشام تشكل مع مكة ثنائية جغرافية مقدسة في التصور الإسلامي، تؤدي وظائف متعددة:

- البداية الرسالية (مكة)،
- الامتداد النبوي (الشام)،
- ثم الخاتمة العقدية في آخر الزمان (الشام مرة أخرى).

---

[30] يحي بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ج18، ص 23.

[31] رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن، حديث رقم 2937.

[32] رواه أبو داود، السنن، كتاب الملاحم، حديث رقم 4298.

[33] ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، دار الجيل، بيروت، 1988م، ج1، ص 195.

وبالتالي، فإن الطعن في مركزية الشرق الأوسط يتجاهل هذه الخطة الربانية المتكاملة التي توزّعت فيها الرسالات عبر نقاط محددة من المنطقة، لحكمة إلهية، لا لامتياز قومي أو جهوي.

المطلب الثالث: مناطق مباركة أخرى في الشرق الأوسط ضمن الخريطة الرسالية

إضافة إلى مكة وبلاد الشام، يبرز في النصوص الإسلامية عدد من المواقع الجغرافية الواقعة ضمن نطاق الشرق الأوسط، والتي ارتبطت بأحداث نبوية مفصلية أو بوصفها مواضع للخطاب الإلهي والوحي. ويعزز هذا التوزيع الجغرافي لفعل الرسالة فكرة الاصطفاء المكاني، ويدحض التصورات الطاعنة التي ترى تمركز الرسالات في هذه المنطقة نوعًا من التحيّز أو العرقية.

1–طور سيناء: موضع تكليم الله لموسى عليه السلام

ذكر الله عز وجل موضع الطور أكثر من مرة في القرآن، منها:

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: 52]

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: 20]

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: 1–2]

وقد ذكر المفسرون أن طور سيناء جبل يقع في صحراء سيناء (شبه جزيرة مصرية حالياً)، وهو الموضع الذي كلّم الله فيه موسى عليه السلام، وخصّه بالوحي والتكليم المباشر[34].

[34] الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة، ج18، ص 132& القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ج15، ص 215

إن تخصيص هذا الموضع للوحي المباشر من الله إلى أحد أولي العزم من الرسل، يبيّن تكرارًا مقصودًا للحضور المكاني للرسالة في مناطق الشرق الأوسط، ويكشف حكمة في توالي الاصطفاء المكاني عبر امتداده الطولي من جنوب الجزيرة العربية حتى أقصى شمالها.

2–مصر: موطن النجاة والوحي والأنبياء

حظيت مصر بمكانة محورية في القصص القرآني، فكانت:

- **ملاذًا آمنًا لإبراهيم عليه السلام** في هجرته الأولى بعد خروجه من العراق.
- **دارًا لموسى عليه السلام** حيث تربى في قصر فرعون.
- **موضعًا لمعجزة العصا وشق البحر**.
- **ملجأً لعيسى عليه السلام** مع أمه مريم عليهما السلام بعد ولادته، كما في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50]

قال ابن عباس: هي مصر، وهو ما رجّحه الطبري في تفسيره[35].

وقد كانت مصر أيضًا محلًا للتمكين كما في قصة يوسف عليه السلام، ومسرحًا للرسالة التوحيدية في صراعها مع الطغيان الفرعوني. وهذا كله يعزز كون مصر مركزًا من مراكز التوحيد وأحداث الرسالة.

3–العراق وبلاد الرافدين: بداية التوحيد الإبراهيمي

[35] الطبري، جامع البيان، ج17، ص 114 & السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر، ج5، ص 150

تبدأ قصة التوحيد الإبراهيمي من أور الكلدانيين (في العراق حاليًا)، حيث نشأ إبراهيم عليه السلام. وقد خاض هناك أولى مناظراته مع عبدة الكواكب والأصنام، ونجا من النار، قبل أن يهاجر إلى الشام. كما يُنسب إليه تأسيس أساسات الرسالة التوحيدية الكبرى في التاريخ[36].

كذلك كانت **نينوى** (في العراق أيضًا) موطنًا ليونس عليه السلام، وقد ذكرها الله تعالى في قوله:

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: 147][37]

كما مرّ نوح عليه السلام في بعض الروايات من منطقة الرافدين، وتُذكر آثار السفينة في جبل الجودي، وهو أيضًا ضمن الإقليم الشرقي من تركيا – العراق.

خلاصة المطلب

إن تتبّع جغرافيا الوحي في القرآن والسنة والتاريخ النبوي يُظهر أن الرسالة الإلهية كانت تُلقى في مواقع مختارة بدقة ضمن إقليم الشرق الأوسط. وإذا كانت مكة هي نقطة الانطلاق، والشام ميدان التبليغ والتثبيت، فإن مصر، والعراق، وسيناء، تُكمل الخارطة الروحية التي تشكّلت فيها الرسالات السماوية. وهذا يعزز فكرة المركزية الرسالية التي ترتبط بصفات البقعة ووظيفتها، لا بأصول أهلها العرقية–

المبحث الثالث: عالمية الرسالات في النصوص السماوية

- **بعثة الرسل إلى كافة الأمم :**

[36] ابن كثير، قصص الأنبياء، دار المعرفة، بيروت، ص 129–132

[37] انظر تفسير الطبري، جامع البيان، ج23، ص 45

يقرر القرآن أن هداية الله شاملة لكل الأقوام، فلم يخل شعب من رسالة سماوية في وقت ما. يقول تعالى :﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً﴾ [النحل: 36]، ويقول أيضًا :﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]. وقد فسّر ابن كثير هذه الآيات بقوله :أي ما من أمة من بني آدم إلا بعث الله فيها نذيرًا وأزال عنها العذر[38] فهذا نصّ صريح في عالمية أصل الرسالات وأن الرحمة الإلهية بتوجيه الأنبياء شملت جميع الشعوب في مختلف الأزمنة.

- **شمول رسالة محمد ﷺ للناس كافّة** :جاءت رسالة الإسلام خاتمةً وخالصةً للناس أجمعين. قال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ :﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28]، أي أرسلناك إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم [39]..وقد روى **ابن عباس** في تفسير هذه الآية أن الله فضّل محمدًا ﷺ بأن أرسله إلى ''الجن والإنس ''خلاف من سبقه من الأنبياء . وثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : «أعطيت خمسًا لم يُعطَهنَّ أحد من الأنبياء قبلي... وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس كافة»[40] .فهذا الحديث المتفق على صحته (رواه البخاري ومسلم) يؤكد أن رسالة محمد عالمية تتجاوز حدود الزمان والمكان.

- **الرسالة رحمة للعالمين** :امتدت عالمية الدعوة المحمدية لتشمل الثقلين جميعًا. قال تعالى :﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ... لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:1]، وقال سبحانه :﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]. قال المفسرون إن ''العالمين "هنا تعمّ جميع بني آدم بل والجن أيضًا.[41]

وقد بيّن ابن كثير أن عموم بعثة النبي ﷺ هو من خصائصه التي لم يشاركه فيها نبي قبله، فهو خاتم الأنبياء المرسل للأحمر والأسود أي كل البشر على اختلاف أعراقهم ومن رحمته

---

[38] تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، طبعة دار طيبة 1999م، ج6 ص421

[39] تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر 1984م، ج 22ص247

[40] صحيح البخاري، كتاب التيمم، حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه

[41] تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج7 ص183

أن رسالته بلغت أقاصي الأرض عبر أتباعه من الصحابة والتابعين، فدخل الناس في دين الله أفواجًا في آسيا وإفريقيا وأوروبا على مدى قرون.

- **ذكر الأنبياء العالميين وغير المذكورين** :اقتصر القرآن على ذكر 25نبيًا ورسولًا بالاسم، لكن ذلك لا ينفي وجود غيرهم. يقول تعالى :﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ... وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 164]، أي أن هناك رسلًا آخرين لم يروِ القرآن قصصهم. علّق ابن كثير على ذلك بقوله :خلقًا آخرين لم يُذكروا في القرآن وقد اختلف العلماء في عدد الأنبياء إجمالًا .وورد في الحديث – وإن كان بسند فيه مقال – أن عدد الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر صححه ابن حبان وأشار جماعة إلى تقوية طرقه[42]. وبالتالي، فإن عالمية التبليغ ثابتة بمعنى أن الله أرسل كل تلك الأعداد الهائلة عبر التاريخ لهداية البشرية جمعاء، حتى وإن لم تصلنا أسماؤهم. قال ابن تيمية :قد بعث في كل أمة رسولًا... فإن كان هذا الحديث (عدد الأنبياء) صحيحًا فالرسل 313 وإلا فالله أعلم بعدتهم؛ فقد أخبر تعالى أنه بعث في كل أمة رسولًا [43].فالأمم الكبيرة كلها وصلتها أنوار النبوة بشكل من الأشكال.

[42] انظر :أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، رقم الحديث 21257، ج5، ص 266. والحديث رواه أيضًا أبو يعلى وابن حبان، وقد ورد من طرق أخرى عن أبي أمامة، لكنه حديث ضعيف كما ذكر ابن حجر في الإصابة، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، بينما ضعّفه جمع من أهل الحديث.

[43] مجموع الفتاوى لابن تيمية، مجمع الملك فهد، ج 19ص 117نقل عنه في الدرر السنية

الفصل الثالث: الحكمة الإلهية في اختيار الشرق الأوسط

تمهيد

يُعنى هذا الفصل بالبحث في الحكمة الإلهية وراء اختيار منطقة الشرق الأوسط مهدًا ومركزًا لمعظم الرسالات السماوية. وسنقسّم الحديث إلى ثلاثة مباحث رئيسة تتناول الدلالات العقدية والروحية لاختيار الزمان والمكان، ثم ميزات البيئة الثقافية واللغوية للعرب، وأخيرًا النصوص المؤسسة التي تشير إلى اختصاص هذه المنطقة بالوحي الإلهي.

المبحث الأول: الدلالات العقدية والروحية في اختيار الزمان والمكان

إنَّ من أصول العقيدة الإيمان بحكمة الله تعالى وتدبيره في اختيار الزمان والمكان لإرسال رسله. فقد اصطفى الله أماكن وأزمانًا معيّنة لتكون موطنًا للتكليف والرسالة، وهذا الاصطفاء يحمل دلالات عقديّة وروحيّة بالغة الأهمية.

أولًا :الإيمان بأن الله تعالى يختار الأصلح والأحكم؛ فلا يختار عز وجل نبيًا ولا مكانًا ولا زمنًا إلا لحكمة بالغة. وقد قال سبحانه وتعالى ردًّا على المعترضين :﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [سورة الأنعام، الآية 124]

هذه الآية تؤكد مبدأ عقديًا مهمًا وهو وجوب التسليم لاختيار الله؛ فالله أعلم بمواضع رسالاته واصطفاء أنبيائه. فلا مجال للاعتراض على تخصيص مكان أو زمان مُعيَّن، لأن ذلك قدح في كمال حكمة الله وعدله.

ثانيًا :ارتباط المكان والزمان بمشيئة الله وقدسيتهما. فقد شاء الله أن يجعل بعض الأمكنة مباركة مقدسة، مثل أرض بيت المقدس ومكة المكرمة، وجعل بعض الأزمان مميزة كزمن بعثة خاتم النبيين ﷺ. واختياره تعالى لجزيرة العرب في القرن السابع الميلادي مثلًا له بعد روحي يتمثل في أن تلك الحقبة كانت بحاجة ماسة لنور الرسالة. فقد جاء الإسلام بعد فترة انقطاع من الوحي ليبدد ظلمات الشرك والانحراف التي عمت العالم آنذاك، تحقيقًا لقوله تعالى :﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة المائدة، الآية 19]

وقد ورد في الحديث الصحيح وصفٌ دقيق لحال البشرية قبل بعثة النبي ﷺ، وفيه يقول ﷺ : «إنَّ الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلَّا بقايا من أهل الكتاب[44] »

وهذا يُبيّن أن البشرية بلغت تأزّمًا روحيًا شديدًا استدعى إرسال نور النبوة الخاتمة في ذلك الزمن والمكان رحمةً بالعالمين.

---

[44] صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة، حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه(2865)

ثالثًا :من الحكمة في تخصيص الشرق الأوسط ومكة المكرمة تحديدًا أن جعلها الله قبلةً للمؤمنين ومهوى أفئدتهم. فالمكان الذي شهد ميلاد الرسالة الأخيرة أصبح مركز الوحدة العقدية للمسلمين؛ تتوجه إليه القلوب في الصلاة والحج، مما يعمّق الارتباط الروحي بين المؤمن والمكان المقدس الذي اصطفاه الله. وليس ذلك تكريمًا لقوم دون آخرين بقدر ما هو ابتلاء واختبار؛ إذ الاصطفاء الإلهي تكليفٌ أكثر منه تشريف .وقد نبّه على ذلك النبي ﷺ بقوله : «**إن الله اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[45] فهذا الاصطفاء النبوي يحمل معاني المسؤولية في حمل الرسالة وبذل الجهد في تبليغها.

والمتأمل في تاريخ الأنبياء يجد أن الله فضل بعض الأزمنة كذلك، فبعثة النبي محمد ﷺ جاءت في الزمن الأنسب تاريخيًا. كانت القوى الحضارية الكبرى آنذاك —كفارس والروم — قد وصلت حدًّا من التفسخ الديني والظلم الاجتماعي مما جعلها غير صالحة لحمل رسالة إصلاحية بينما كانت جزيرة العرب بعيدة عن تلك الإمبراطوريات وصراعاتها، فأهلها — وإن كانوا على وثنيتهم — أقرب إلى الفطرة لبساطة عيشهم وصفاء ذهنهم من تعقيدات الفلسفات والحضارات المنحرفة[46] وهذا الجانب الروحي مهم؛ إذ يكون تقبّل الحق أيسر في بيئة بدائية نقية لم تتلوث بالكفر المعقّد أو الإلحاد الفلسفي. ولهذا كانت الجزيرة العربية أنسب مكان وزمان تنطلق منه الرسالة العالمية الخاتمة لتنير العالم بأسره.

---

[45] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، حديث رقم 2276، دار إحياء التراث العربي، بيروت

[46] مقال: الحكمة من اختيار العرب وجزيرتهم مهداً للإسلام، موقع إسلام ويب، رقم المقال: 53700، بتاريخ 29-3-2004 islamweb.net

المبحث الثاني: البيئة الثقافية واللغوية للعرب

لا يخفى أن اختيار الرسول الخاتم ﷺ من العرب، وإنزال القرآن بلسان عربي مبين، ينطوي على حكم إلهية عظيمة تتعلق بخصائص البيئة العربية ثقافيًا ولغويًا. فالجزيرة العربية قبل الإسلام تمتعت بميزات جعلتها مؤهّلة لحمل الرسالة ونشرها، من أبرزها:

- **اللغة العربية وبلاغتها** :امتاز العرب بلسانهم العربي ذي البيان الفصيح والبيان الساحر. فجاء القرآن بلغتهم ليكون المعجزة اللغوية الخالدة التي تحدّت فصحاءهم وبلاغاءهم، فلا يجدون إلى معارضتها سبيلًا. وقد خاطبهم الله بذلك بقوله :﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية 2]

فاللسان العربي بما فيه من سعة مفردات ودقة تعابير كان وعاءً صالحًا لحمل تعاليم الدين الخاتم والشريعة السمحة لجميع البشر[47] ولم تكن أمة أخرى تملك لغة تضاهي العربية في قدرتها على الاستمرار وحفظ المعاني عبر الزمان.

- **قوة الحافظة والذاكرة** :عُرف العرب بقوة الحفظ والذاكرة الشفوية في حفظ الشعر والأنساب والأخبار. فكانت هذه الخصيصة عونًا على حفظ القرآن والسنة في الصدور قبل أن تدوّن في السطور. لقد هيّأ الله قلوب العرب لحمل كتابه؛ فانتقل القرآن من صدر إلى صدر بالمشافهة جيلًا بعد جيل، مما ضمن نقله نقيًا غير محرّف.

- **صفاتهم الاجتماعية الأصيلة** :على الرغم من جاهلية العرب الأولى، إلا أنهم تمتعوا بصفات أخلاقية نبيلة كالشجاعة والكرم والنجدة وحماية الجار والوفاء بالعهد. هذه الخصال شكلت أرضية صالحة لتلقي أخلاق الإسلام وتعاليمه، فكان العرب أسرع استجابة عند بزوغ نور النبوة. كما أن كونهم قبائل متفرقة تجمعهم أنساب مشتركة سهّل انتشار الدعوة بينهم ثم انتقالها إلى غيرهم بعد ذلك.

---

[47] المصدر السابق

- **عدم هيمنة فلسفات سابقة معقّدة** :لم يكن لدى العرب ديانات سماوية سابقة راسخة (باستثناء الحنفاء وعدد قليل من أهل الكتاب) ولم يخوضوا في فلسفات عميقة كالفرس والروم. لذا جاءت الرسالة في بيئة فطرية نقية لم تتعقّد مناهجها الفكرية بشيء من الفلسفات المنحرفة، بل كانت أقرب لقبول الحق والإذعان له واختيار الله للعرب أميّين لا يقرأون ولا يكتبون في الأغلب جعل ظهور القرآن بينهم دليلًا أوضح على أنه وحيٌ إلهي وليس مكتسبًا من حضارة سابقة[48].

- **الموقع الجغرافي الاستراتيجي** :تقع جزيرة العرب في قلب العالم القديم عند ملتقى قارّات آسيا وأفريقيا وأوروبا. وكان العرب على صلة تجارية وجغرافية مع الأمم حولهم عبر قوافل التجارة (رحلتي الشتاء والصيف بين اليمن والشام). هذا الموقع الوسيط خدم انتشار الدين بسرعة إلى المناطق المجاورة ثم إلى العالم فخلال عقود قليلة من وفاة النبي ﷺ، وصل الإسلام شرقًا وغربًا بفضل موقع العرب المتوسط وانفتاحهم التجاري على الأمم.

جدير بالذكر أن اختيار العرب وجزيرتهم مهداً للإسلام ليس تمييزًا عنصريًا، وإنما لحكمة التبليغ وتحقيق عالمية الرسالة. فقد جاء الإسلام ليُخرج الناس كافة من الظلمات إلى النور. وإذا كان العرب حُمِّلوا عبء الدعوة أولًا، فإنما ذلك تكليف ومسؤولية كما أسلفنا، لا مجرد مفاخرة. وقد قال تعالى :﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ فاختيار الرسول ﷺ عربيًا لأنه سيبيّن لقومه العرب أولًا رسالةً عالمية للبشر جميعًا. وبمجرد أداء الأمانة، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى كما قرر النبي ﷺ. وقد أكرم الله أممًا وشعوبًا أخرى بأن جعل منهم من حمل راية الإسلام بعد العرب، كصلاح الدين الكردي أو علماء المسلمين من العجم، تحقيقًا لعالمية هذا الدين[49].

---

[48] المصدر السابق

[49] مقال: «بعد جدل سؤال خالد منتصر.. اعرف لماذا هبطت الرسالات السماوية الثلاث في الشرق الأوسط»، موقع مصراوي، بتاريخ 23-9-2018، (www.masrawy.com

المبحث الثالث: النصوص المؤسسة لاختصاص المنطقة بالوحي

تزخر النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة المطهرة بما يشير صراحة أو ضمنًا إلى مركزية منطقة الشرق الأوسط – لا سيما بلاد العرب – في حمل رسالات السماء. ومن هذه النصوص التأسيسية نذكر ما يلي:

1–جعل النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام :قال الله تعالى في محكم كتابه :﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [سورة الحديد، الآية 26]

هذه الآية أصلٌ صريح بأن الله اختص ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام بالكتاب والنبوة من بعده. ومعلوم أن ذرية إبراهيم من إسحاق ويعقوب (بني إسرائيل) وإسماعيل قد سكنت في أرض الشام ومصر وشبه جزيرة العرب، أي في قلب الشرق الأوسط. فكل الأنبياء الذين جاء ذكرهم بعد إبراهيم عليه السلام ينتمون إلى نسله المبارك وفي هذه المنطقة الجغرافية. فهذا اصطفاء إلهي متواصل لتكون ذرية واحدة حاملة لواء التوحيد عبر الأجيال ولا يُفهَم من ذلك حرمان الأمم الأخرى من الرسل، بل لكل أمة رسول كما قال تعالى :﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ؛ إلا أنَّ الرُّسل المذكورين في القرآن والسنة جلّهم من هذه الذرية الإبراهيمية المباركة لحكمة ذكرهم للعرب الذين كانوا يعرفون أخبارهم وقد بيَّن ابن عاشور في تفسيره أنَّ اقتصار القرآن على أنبياء منطقة العرب وما جاورها يرجع إلى أن القرآن خوطب به العرب **ابتداءً**، فذِكرُ أقوام يعرفونهم أوقعُ في الاتعاظ والاعتبار، أما لو ذكر رسلًا من أممٍ نائية مجهولة لهم لكان مجرد حكاية لا تحقق نفس التأثير[50].

2–دعوة إبراهيم وبشارة عيسى بمبعث النبي الخاتم في هذه المنطقة :إن ظهور نبي الإسلام في العرب استجابةٌ لدعوة إبراهيم عليه السلام حين رفع قواعد البيت الحرام في مكة ودعا ربه قائلًا :﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وقد تواترت الأخبار أن محمدًا ﷺ هو مجابُ دعوةِ

---

[50] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تفسير سورة فاطر الآية 24، الدار التونسية للنشر، 1984م

إبراهيم وبشارةُ عيسى عليهما السلام لأهل هذه المنطقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا دعوةُ أبي إبراهيم، وبِشارةُ عيسى، ورأت أمي حين وضعتني أنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام »[51] فهذا الحديث العظيم يربط بين مركزية جزيرة العرب (دعوة إبراهيم في أهل مكة من ذرية إسماعيل)، وارتباطها بجوارها الشامي (حيث أشار النور إلى بلاد الشام عند ولادته ﷺ)، وكذلك التمهيد له عبر الرسالة المسيحية كآخر نبي قبل محمد ﷺ.

إن اجتماع دعوة إبراهيم الخليل وبشارة عيسى المسيح على شخص النبي محمد ﷺ وفي هذه البقعة تحديدًا (مكة المكرمة وما حولها) لهو دليلٌ على أن الشرق الأوسط هو مهد الرسالات الخاتمة ومجمع خطط السماء لهداية البشرية. فإبراهيم عليه السلام إمام الموحّدين نشأ في العراق وهاجر إلى الشام وبنى البيت الحرام في مكة، وجاء من نسله في تلك الديار ابناه النبيّان: موسى وعيسى عليهما السلام في أرض فلسطين وما حولها، ثم كان الختام بميلاد خاتم النبيين في مكة وبعثته في أرجاء الحجاز. إنها سلسلة متصلة الحلقات تظهر مركزية هذه المنطقة.

وخلاصة القول: إن النصوص الشرعية ترسم صورة واضحة لمركزية الشرق الأوسط في مشيئة الله لهداية البشرية. فالله تعالى اختار هذه البقعة تحديدًا لتكون مسرحًا لأعظم أحداث الهداية الإلهية — من بعثة الخليل إبراهيم وبنائه البيت الحرام، ، إلى بعثة خاتم المرسلين في مكة والمدينة. وكل ذلك وفق حكمة إلهية تستند إلى علمه تعالى بخلقه :﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ .فلا عجب إذًا أن تكون مركزية الشرق الأوسط في الرسالات السماوية حقيقة تاريخية ودينية، قامت البراهين عليها من خلال الواقع والنصوص. وقد دحض العلماء الربانيون هذه الشبهة (شبهة حصر النبوة في منطقة العرب) ببيان أن الله أكمل دينه في هذه الأرض ثم حمله العرب إلى غيرهم، وأنَّه ما من أمة إلا وقد جاءها من يبلغها عن الله تعالى،

---

[51] أخرجه أحمد في مسنده (مسند أحمد، حديث رقم 17163، ج28، ص478، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (ج2/ص656، حديث رقم 4175) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي في التلخيص، والبيهقي في دلائل النبوة ج1، ص126

سواء جاءها رسول مباشر أو بلغتها دعوة خاتم الرسل ﷺ بعد ذلك فالمهم هو وصول نور الوحي لجميع البشر في نهاية المطاف، وقد تحقق ذلك بحمد الله عبر هذا الاختيار الإلهي الحكيم لمنطقة الشرق الأوسط مركزًا للرسالات، لينطلق منها شعاع الهداية إلى كل أصقاع الأرض.

الفصل الرابع: تفنيد الطعون المعاصرة في مركزية الشرق الأوسط رساليًّا

تمهيد الفصل

بعد أن بيّن البحث في الفصول السابقة الأسس العقدية والنصوصية والتاريخية التي تؤكد مركزية الشرق الأوسط في مسار الرسالات السماوية، يقتضي المنهج العلمي أن يواجه الشبهات والطعون التي أثيرت حول هذه المركزية، خاصة في الفكر الإلحادي واللاديني المعاصر. إن هذه الاعتراضات ليست وليدة عصرنا فقط، لكنها اتخذت في الزمن الحديث طابعًا جدليًا يعتمد على المقولات العقلانية البحتة دون اعتبار للبعد الغيبي في الحكمة الإلهية. لذلك سيعالج هذا الفصل أبرز تلك الطعون تحليلاً ومناقشةً، ليظهر أن اختيار هذه البقعة مركزًا للوحي لا يتعارض مع عدل الله ولا مع عالمية الرسالة.

المبحث الأول: عرض أبرز الطعون المعاصرة

- الدكتور خالد منتصر (إعلامي مصري علماني) تساءل مستنكرًا : لماذا الأديان السماوية نزلت في محيط (فلسطين، مصر، السعودية) فقط، ألا يحتاج باقي العالم وحي السماء مثلنا؟[52]

- يزعم بعض الملاحدة المعاصرين أن النبوة خاصة بمنطقة الشرق الأوسط، ولم تشمل جميع أمم الأرض معتبرين ذلك طعنًا في عدل الله تعالى: أي كأنّ الله فضّل قومًا بوحي ورسالات وحرم غيرهم منها بلا موجب – في نظرهم – وهذا عندهم يتنافى مع شمول الرحمة والعدالة الإلهية[53].

- يتساءل آخرون ضمن التيارات اللادينية : «أين العدالة الإلهية في خَصِّ منطقة جغرافية محددة بالوحي وحرمان سائر مناطق العالم؟»[54] ويستنكرون تركز جميع الأنبياء والرسالات في بقعة الشرق الأوسط دون غيرها، كما لم يُسمع عن نبي في الصين أو الهند أو إفريقيا أو الأمريكتين، في نظرهم، مما يولِّد لديهم أسئلة حول مغزى ذلك التركز الجغرافي ومبرراته.

- [52] أحمد الجندي – «بعد جدل سؤال خالد منتصر.. اعرف لماذا هبطت الرسالات السماوية الثلاث في الشرق الأوسط» – موقع مصراوي – 23 سبتمبر 2018م.

[53] موقع إسلام ويب، الفتوى رقم 379108» :الرد على شبهة تخصيص إرسال الرسل في بلاد العرب وما جاورها 12 – «يوليو 2018م (ينقل شبهة يروّجها الملاحدة).

[54] السيّد علي الحسيني» – إشكالية انحصار النبوة في الشرق الأوسط – «مركز الرصد العقائدي (العتبة الحسينية) – 27 أكتوبر 2020م.

المبحث الثاني: الردود العقلية والنقلية

شمول الرسالات لجميع الأمم وعدم انحصارها جغرافيًا :

إن النصوص الشرعية في القرآن والسنة تُؤكد صراحة أن رسالة الهداية لم تقتصر على قوم معيّن أو إقليم محدّد، بل شملت كل الأمم على وجه الأرض. يقول الله تعالى :﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ (النحل: 36)، وقال سبحانه :﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: 24)، وجاء أيضًا :﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (غافر: 78). وقد بيّن العلماء أن عدم ذكر بعض الرسل في القرآن لا يعني نفي وجودهم، بل قد يكونون بعثوا ولم يُذكروا نصًا وقد عقّب الشيخ عطية صقر – مفتي مصر الأسبق – على هذه النصوص بقوله : «نعلم من هذه النصوص أنه يجوز أن يكون الله سبحانه قد أرسل رسلًا في غير منطقة الشرق الأوسط»[55] ، أي أن احتمال إرسال الأنبياء إلى أمم خارج نطاق الشرق الأوسط قائم ومتماشٍ مع عموم النص القرآني. ومما يؤكد عالمية الرسالات قول النبي ﷺ : «وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس كافة»[56] فهذا إعلان صريح لعالمية رسالة الإسلام التي جاءت تتويجًا للرسالات قبلها.

تفسير غياب ذكر أنبياء مناطق أخرى تاريخيًا: منظور علمي ونقلي

من أبرز الطعون المعاصرة على مركزية الشرق الأوسط رساليًا، التساؤل: لماذا لا نجد في تاريخ البشرية رسلًا وأنبياء خارج هذا الإقليم؟ ويعتبر بعضهم ذلك قرينة على أن الرسالة كانت محصورة جغرافيًا دون بقية العالم، مما يقدح – في زعمهم – في عدالة الهداية الإلهية.

غير أن التحليل العلمي والتاريخي يُظهر خلاف ذلك تمامًا. إذ أن غياب التوثيق لا يعني غياب الحدث أصلًا. فقد بيّن مؤرخو الأديان أن الكتابة والتدوين التاريخي ظهر متأخرًا نسبيًا

---

[55] عطية صقر، فتوى منشورة ضمن مقال: أحمد الجندي – «بعد جدل سؤال خالد منتصر.. اعرف لماذا هبطت الرسالات السماوية الثلاث في الشرق الأوسط»، موقع مصراوي، 23 سبتمبر 2018م.

[56] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، كتاب التوحيد، حديث رقم 335؛ ومسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب المساجد، حديث رقم 521؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

في منطقة الشرق الأوسط حوالي الألف الثالث قبل الميلاد، أي أن الفترات الأطول من تاريخ الإنسان كانت بلا سجلات مدونة، وبالتالي لا يُعلم ماذا جرى فيها من رسالات[57].

وقد أورد أحد الباحثين المعاصرين نصًا دقيقًا يوضح ضآلة الحقبة المدونة مقارنة بعمر البشرية فقال:

«كل الأديان التاريخية التي نعرفها لا يتجاوز عمرها أربعة آلاف سنة... وهي فترة لا تساوي شيئًا مقارنة بثلاثة ملايين سنة عاشتها الأديان التي سبقتها، ولم يكن أتباع تلك الأديان القبلية والبدائية يعرفون القراءة والكتابة»[58]

هذا يجعل من المعقول جدًا أن يكون الله قد أرسل رسلًا إلى أمم بعيدة عن الشرق الأوسط، لكن اندثرت أخبارهم مع اندثار حضاراتهم الشفوية. وهو ما يؤكده أيضًا علماء الأنثروبولوجيا الذين لاحظوا بقايا معتقدات توحيدية بدائية في أقوام شتى، قد تكون بقايا رسالات سماوية لم تُحفظ نصوصها.

من جهة أخرى، نجد في التفسير القرآني صريحًا في عمومية الإنذار، حيث قال تعالى:

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]

وقد شرح ذلك الإمام ابن عاشور بقوله:

«ومعنى الأمة هنا: الجِذْم العظيم من أهل نسب واحد (كأمة الفرس، وأمة الروم، وأمة الصين، وأمة الهند، وأمة اليونان، وأمة العرب، وأمة البربر)، فما من أمة من هؤلاء إلا وقد

---

[57] السيّد علي الحسيني، «إشكالية انحصار النبوة في الشرق الأوسط»، مركز الرصد العقائدي (العتبة الحسينية)، 27 أكتوبر 2020م.

[58] السيّد علي الحسيني، نفس المرجع السابق.

سبق فيها نذير، أي رسول أو نبي ينذرهم... فمن المنذرين من علمناهم، ومنهم من انقرضوا ولم يبقَ خبرهم [59]»

وهذا يدحض الحجة التي تزعم انحصار الرسالة بمركز جغرافي محدد، ويبين أن غياب العلم ليس دليلاً على غياب الحدث، بل قد تكون هناك رسالات في أمم أخرى طواها الزمن، وبقيت آثارها في صورة معتقدات موحِّدة مبعثرة في ثقافات الشعوب.

حكمة تركيز الرسالات في ذرية إبراهيم عليه السلام

من الشبهات المعاصرة التي تتعلق بالطعن في مركزية الشرق الأوسط رساليًّا، التساؤل عن سبب تركّز الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام في تلك المنطقة تحديدًا. ويجاب عن ذلك بأن النصوص القرآنية والتفاسير دلّت على اصطفاء إبراهيم عليه السلام ونسله ليكونوا محورًا للنبوة والكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ (الحديد: 26).

وقد نقل المفسرون عن هذا الاصطفاء أنه امتداد لوعد إلهي سابق، حيث جعل الله إبراهيم "أبو الأنبياء"، فجاءت معظم الرسالات بعده في نسله. واستقر نسله في بلاد الشام ومصر والجزيرة العربية، مما يفسر جغرافيًا تركز أحداث الرسالات في تلك البقاع دون غيرها بعد ذلك[60].

ويبيّن بعض الباحثين في العقيدة أن هذا التركيز لم يكن محاباة عرقية أو جغرافية، بل رحمة إلهية؛ إذ أن بقاء الرسالات في عائلة واحدة جعل تاريخها محفوظًا، وسهل تتبعها وتلقيها من

[59] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج11، ص 214.

[60] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج27، ص 233.

قبل سائر الأمم لاحقًا عند نزول الرسالة الخاتمة. وهذا يعكس حكمة ربانية بأن يُجعل مسار النبوات في شجرة أنساب واضحة معروفة عبر الأجيال، حتى لا تضيع أخبارها[61].

وهكذا فإن اقتصار معظم الأنبياء بعد إبراهيم على إقليم الشرق الأوسط لا يعكس قصورًا في رحمة الله أو في عدالته مع باقي الأمم، بل ينسجم مع سنّة إلهية في تهيئة خط واحد متماسك للنبوة، ليكون شاهدًا محفوظًا للعالمين.

الاعتبارات الجغرافية والحضارية لظهور الرسالات في الشرق الأوسط

حين يناقش الفكر اللاديني أو الإلحادي مسألة مركزية الشرق الأوسط في الرسالات السماوية، يتجاهل في الغالب العوامل الجغرافية والتاريخية التي تجعل هذه المنطقة بطبيعتها أنسب بيئة لانطلاق الدعوات العالمية منذ أقدم العصور.

أولًا: وسطية الموقع الجغرافي

فمن الثابت جغرافيًا أن الشرق الأوسط يتوسط قارات العالم القديم الثلاث (آسيا وإفريقيا وأوروبا)، وكان عبر آلاف السنين ممرًا لطرق التجارة والهجرة والجيوش. وقد لاحظ بعض الباحثين أن «التركيز على الشرق الأوسط [في الرسالات] لأنه وسط العالم»، أي في قلب حيوي يسهل منه انتشار الدعوة[62].

ثانيًا: منشأ أقدم الحضارات وتجمع السكان

كما يشير المؤرخون إلى أن أقدم مظاهر الحضارة والعمران الإنساني بدأت في منطقة الهلال الخصيب ووادِيَي النيل والرافدين، وهي جميعًا ضمن نطاق الشرق الأوسط. فقد نشأت هناك

---

[61] موقع إسلام ويب، الفتوى رقم 379108: «الرد على شبهة تخصيص إرسال الرسل في بلاد العرب وما جاورها»، 12 يوليو 2018م.

[62] أحمد صبحي منصور، «أنبياء للصين والهند وأمريكا واستراليا»، موقع أهل القرآن، https://ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=18119 (14 مارس 2018،

أولى المدن والدول القوية منذ الألف الرابع قبل الميلاد، في بيئة خصيبة معتدلة تسمح بالزراعة المستقرة ونمو المجتمعات الكبيرة[63].

وقد لخّص بعض الباحثين المتخصصين ذلك بقولهم: «إن العمران البشري بدأ أول ما بدأ في هذه المنطقة... لاعتدال جوّها وكثرة خيراتها المتاحة... ووجود عوامل ساعدت على تجمع الناس وتكوين وحدات مستقرة... ومن هنا كانت الحاجة أمسّ لإرسال رسول يهدي الضالين.[64]

البعد اللغوي والثقافي :

حملت آخر الرسالات (الإسلام) لغةً عالمية علمها الله لنبيّه ﷺ هي العربية، وهي لغة تمتاز بانتشار لهجاتها في المنطقة وتداخلها تاريخيًا مع لغات أخرى (كالسريانية والفارسية وغيرها). وقد شاء الله أن تنصهر شعوب كثيرة في بوتقة الثقافة الإسلامية العربية بعد انتشار الإسلام، فتعربت أقوام عديدة وأصبحت العربية لغة التواصل المشترك لعالم الإسلام. هذا ساعد على نشر القرآن وعلومه بوصفها تراثًا مكتوبًا بلغة يفهمها الناس من مختلف الأجناس بعد تعلمها. وقد ذكر المؤرخ المغربي عبد الله العروي أن الإسلام عندما انتشر فرض توحيد اللغة العربية... وكان لانتشار الإسلام أثر قوي في انتشار ظاهرة التعريب واللغة العربية... فهناك شعوب مسلمة استوعبها التعريب... وهناك أمم عريقة مجاورة اعتنقت الإسلام وشاركت في بناء الحضارة الإسلامية، انطلاقًا من تفسيراتها للإسلام المرتبطة جزئيًا على الأقل بخلفيتها التاريخية والثقافية والحضارية والدينية العريقة التي وجدت قبل الإسلام بقرون عديدة [65] وهذا يعني أن الشعوب غير العربية لم تكن عائقًا بل سرعان ما أخذت نصيبها في حمل رسالة

---

[63] موقع مصراوي، أحمد الجندي – «بعد جدل سؤال خالد منتصر.. اعرف لماذا هبطت الرسالات السماوية الثلاث في الشرق الأوسط»، 23 سبتمبر 2018م.

[64] نفس المرجع السابق.

[65] عبد الله العروي، السنة والإصلاح، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2008.arabi21.com .

الإسلام وترجمتها إلى واقع وحضارة، وأضافت إليها من تراثها السابق، مما حقق عالميّة حقيقية للدين الجديد.

الفصل الخامس: عالمية الرسالة وانعكاس مركزية الشرق الأوسط في الوعي المعاصر

- تمهيد
- المبحث الأول: كيف تحققت عالمية الرسالة رغم انطلاقها من الشرق الأوسط
- المبحث الثاني: مركزية الشرق الأوسط في الوعي السياسي والديني المعاصر

تمهيد

بعد أن استعرض البحث في فصوله السابقة الأسس العقدية والنصوصية والتاريخية والجغرافية التي تؤكد مركزية الشرق الأوسط في مسار الرسالات السماوية، وتناول بالتحليل والرد أبرز الطعون الفكرية المعاصرة التي أُثيرت حول هذه المركزية، يبرز سؤال جوهري متعلق بآفاق هذه المركزية وانعكاساتها على عالمية الرسالة.

إذ قد يتوهم البعض أن انطلاق الرسالات السماوية من إقليم جغرافي محدد يلزم منه انحصارها أو محدودية أثرها، بينما يثبت الواقع التاريخي والديني خلاف ذلك تمامًا، فقد امتدت هذه الرسالات إلى سائر أرجاء الأرض، وحملت معها خطابًا ربانيًا شاملاً للإنسانية جمعاء.

ومن زاوية أخرى، فإن مركزية الشرق الأوسط لم تتوقف عند حدود زمان الوحي، بل ظلّت متجددة في الوعي الديني والسياسي العالمي حتى عصرنا الحاضر، وأصبحت هذه البقعة مسرحًا لصراعات ومنافسات دولية اتخذت أبعادًا عقدية وثقافية بجانب أبعادها الاستراتيجية.

لذلك، يعالج هذا الفصل قضيتين مركزيتين:

- الأولى: بيان كيف تحققت عالمية الرسالة السماوية رغم انطلاقها من قلب الشرق الأوسط، مستعرضًا الأدلة التاريخية والاجتماعية على انتشارها وتجاوزها الحدود القومية والعرقية.

- الثانية: استجلاء استمرار مركزية الشرق الأوسط في الوعي السياسي والديني المعاصر، مع تتبع أثر رمزيتها الروحية والتاريخية في تشكيل السياسات الدولية وصناعة النزاعات الحديثة.

وبهذا يكتمل بناء الحجة على أن مركزية الشرق الأوسط لم تكن تضييقًا للرسالة ولا حصرًا لها، بل كانت منطلقًا لحملها إلى الإنسانية قاطبة، ومسرحًا دائمًا للصراع على القيم والرمزيات التي شكّلت جوهر العلاقة بين الأرض والسماء عبر التاريخ.

المبحث الأول: كيف تحققت عالمية الرسالة رغم انطلاقها من الشرق الأوسط

على الرغم من أن الرسالات السماوية الكبرى انطلقت جميعها من الشرق الأوسط، إلا أنها تجاوزت الحدود الإقليمية وانتشرت عالميًا بفضل جملة عوامل إلهية وبشرية اجتمعت لتحقيق العالمية:

1-سرعة انتشار الإسلام إلى أقاصي العالم المعمور :الرسالة الخاتمة (الإسلام) مثلت نموذجًا عمليًا لكيفية انتقال دين من منطلق جغرافي محدود إلى العالمية خلال زمن قصير تاريخيًا. فقد خرجت من مكة والمدينة في قلب الجزيرة العربية، وبفضل الفتوحات والهجرات والتجارة، امتدت رقعة الإسلام في غضون قرون قليلة من أقصى آسيا إلى قلب أوروبا. وتشير المصادر التاريخية إلى اتساع غير مسبوق للدولة الإسلامية في القرن الأول الهجري؛ حتى وصلت إلى حدود الصين شرقًا، وجنوب فرنسا شمالًا، كما شملت أجزاء واسعة من بلاد أفريقيا[66] .وقد بلغت الخلافة الأموية في أوج اتساعها حدود الصين شرقًا وجنوب فرنسا غربًا (بعد فتح الأندلس ووصول القوات الإسلامية إلى مقاطعة بواتييه جنوب فرنسا عام 732م)

[66] ظهور الدولة الإسلامية موقع موضوع، 13 أبريل 2022، https://mawdoo3.com/ زيارة: يونيو 2025

وهذا الانتشار الجغرافي الشاسع خلال فترة وجيزة نسبيًا يدل على عالمية الرسالة وعدم انحصارها في قوم أو قطر واحد. كما استمر توسع الإسلام سلميًا بعد ذلك عبر التجار والدعاة إلى أقصى الشرق الآسيوي (إندونيسيا وماليزيا والصين) وإلى عمق إفريقيا جنوب الصحراء، حتى غدا الإسلام اليوم دينًا عالميًا بحق تنتسب إليه شعوب متعددة الأعراق والثقافات في جميع القارات.

2–دور الشعوب غير العربية في نشر الرسالة :لم يلبث الإسلام أن اعتنقته أمم كبيرة خارج الجنس العربي، وسرعان ما أصبحت تلك الأمم نفسها حاملًا للواء الدعوة وبنت دولًا وحضارات إسلامية نشرت الدين في مناطقها. فمثلاً اعتنق الفرس الإسلام ثم أقاموا الدولة العباسية وغيرها من الممالك التي حملت مشعل الحضارة الإسلامية شرقًا، ودخل الأتراك في الإسلام وأسسوا الخلافة العثمانية التي نشرت الدين في آسيا الصغرى وأوروبا الشرقية لعصور طويلة، وكذلك البربر في شمال أفريقيا والأندلس وغيرهم. ويرصد المؤرخون أن الشعوب التي دخلت في الإسلام ساهمت بفعالية في ازدهار حضارته ونشر رسالته عالميًا كلٌ في محيطه وفي تحليل للمفكر عبد الله العروي، جاء : "هناك أمم عريقة مجاورة اعتنقت الإسلام وشاركت في بناء الحضارة الإسلامية، انطلاقًا من تفسيراتها للإسلام المرتبطة جزئيًا... بخلفيتها التاريخية والثقافية والحضارية والدينية العريقة[67] "ومن الأمثلة البارزة: الدولة العثمانية (تركية غير عربية) التي حملت راية الإسلام لما يقارب 600 سنة ومدّت نفوذها في ثلاث قارات، وكذلك سلطنة مالي المسلمة في غرب إفريقيا التي نشرت الإسلام في شعوب إفريقيا الغربية في القرون الوسطى، وإمبراطوريات المغول والتتار التي دخلت في الإسلام ثم ساهمت في نشره في الهند وآسيا الوسطى، وهلم جرّا. كل ذلك حقق عالمية الرسالة عمليًا وجعل الإسلام دينًا لحضارات إنسانية متنوعة، وليس محصورًا في موطن ظهوره الأول. كما نذكر أن عدد المسلمين غير العرب اليوم يفوق بمرات عدد المسلمين العرب، إذ تنتشر الأمة الإسلامية من

[67] عبد الله العروي، السنة والإصلاح، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2008.

المغرب إلى إندونيسيا، ومن نيجيريا إلى الصين، مما يؤكد تحقق عالمية الرسالة التي انطلقت من الشرق الأوسط ثم عمّت العالم بأسره.

3–العوامل الجغرافية والسياسية المساعدة :لقد ساهم موقع الشرق الأوسط المتوسط ومكانته كمفترق طرق تاريخي في سهولة انتقال الرسالات منه إلى غيره. فمركزية المنطقة بين آسيا وأفريقيا وأوروبا جعلتها نقطة تلاقٍ للشعوب والتجار والجيوش على مر العصور، وبالتالي كانت الرسالة التي تنطلق منها تصل سريعًا عبر هذه الشبكات إلى بقية أنحاء العالم القديم. فالمسيحية مثلاً خرجت من فلسطين وانتشرت شمالاً إلى أوروبا عبر حواضر الشام وآسيا الصغرى ثم الإمبراطورية الرومانية، والإسلام انتقل شرقًا وغربًا مع حركة الفتح والتجارة بنفس السهولة النسبية لوقوع مهبط الوحي في قلب العالم القديم النابض. كذلك كانت اللغة العربية عاملاً مهمًا –كما أسلفنا – في توحيد الشعوب الإسلامية تحت لسان واحد يسّر التواصل الثقافي والدعوي بين مختلف الأقوام، من فارس وتركيا إلى الهند وإفريقيا، فجعل رسالة الإسلام مفهومة ومقبولة لدى مختلف الأمم. وأيضًا فإن النظام السياسي الإسلامي (الخلافة وما تلاها من دول إسلامية) تبنّى مبدأ حمل رسالة الإسلام إلى العالم، سواء عبر الجهاد والفتوحات أو عبر إيفاد السفراء والدعاة، فكان هناك حافز سياسي وديني معًا لنشر الرسالة خارج حدود الشرق الأوسط. وبالفعل دخلت شعوب كثيرة في دين الله أفواجًا بعد أن بلغتها الدعوة، مصداقًا للوعد القرآني :﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (سورة النصر: 1-2)

4–أمثلة تاريخية على عالمية الرسالة :تأكيدًا لعالمية رسالة الإسلام رغم نشأتها الشرق-أوسطية، نذكر بعض الشواهد الساطعة: اعتناق شعوب فارس ومصر والشام الإسلام في القرن الأول للهجرة، ثم انتشار الإسلام عبر تلك الشعوب إلى ما جاورها (كبلاد ما وراء

النهر شرقًا وبلاد النوبة جنوبًا) ثم دخول المغول في الإسلام في القرن السابع الهجري ثم تحويلهم آسيا الوسطى والهند إلى حاضنة إسلامية كبرى وانتشار الإسلام سلميًا في جنوب شرق آسيا عبر التجار العرب والهنود في القرون الوسطى ليصبح اليوم في إندونيسيا وماليزيا أكبر تجمع إسلامي في العالم (أكثر من 250 مليون مسلم في إندونيسيا وحدها رغم بُعدها عن الشرق الأوسط) وأيضاً اعتناق الملايين في إفريقيا جنوب الصحراء للإسلام على أيدي الدعاة والطُّرُق الصوفية شمالاً وشرقًا وغربًا، حتى أضحى الإسلام الدين الأكبر في غرب إفريقيا وشرقها. هذه الأمثلة وغيرها كثير تظهر بجلاء كيف تجاوزت الرسالة إطارها المكاني الأول لتصبح تراثًا إنسانيًا عالميًا تتشارك فيه أجناس وقوميات شتى على اختلاف لغاتهم وألوانهم، تحقيقًا لمقصد عالميتها الخالد.

المبحث الثاني: مركزية الشرق الأوسط في الوعي السياسي والديني المعاصر

لا تزال منطقة الشرق الأوسط تحتل موقع القلب في الوعي العقدي والسياسي العالمي حتى اليوم، بل إن استمرار الصراع الدولي المحموم عليها يعزّز رمزيتها الدينية ومركزيتها التاريخية. فالصراع على هذه المنطقة ليس حديثًا، بل ضارب في القِدم، حيث تنافست الحضارات والإمبراطوريات القديمة للسيطرة على أرض الرسالات. ونستعرض هنا بعض الوقائع التاريخية القديمة والحديثة التي تؤكد مركزية الشرق الأوسط والصراع الدولي حوله، موثّقة بمصادرها:

- **الحروب الصليبية (1095–1291م)** :سلسلة حروب شنتها ممالك أوروبا الغربية بهدف انتزاع الأراضي المقدسة (وخاصة القدس) من المسلمين. تميزت هذه الحروب بطابع ديني صريح؛ إذ دعا إليها باباوات الكنيسة وشارك فيها ملوك أوروبا تحت شعار الصليب. ووفق التوصيف التاريخي : كانت الحروب الصليبية سلسلة من الصراعات العسكرية ذات طابع ديني خاضتها معظم دول أوروبا المسيحية ضد المسلمين وقد توجهت أولى الحملات الصليبية نحو الشرق واستولت على القدس عام 1099م وأسست مملكة بيت المقدس اللاتينية، ثم توالى وقوع عدة حملات صليبية

خلال القرنين 12 و13م. وشهدت تلك الفترة معارك كبرى مثل **حطين (1187م)** حيث حرر القائد صلاح الدين الأيوبي القدس من الصليبيين.

شكّلت الحملات الصليبية أول صدام عسكري عالمي على أرض الشرق الأوسط بدافع ديني (المسيحية في مواجهة الإسلام)، مما رسّخ في الذاكرة الإنسانية رمزية القدس والمشرق كمركز للصراع العقائدي بين الشرق والغرب ولا يزال مصطلح "حروب صليبية" يُستخدم مجازًا حتى اليوم للتعبير عن أي تعبئة دينية أو أيديولوجية تقود صراعًا عالميًا.

- **الصراع العثماني – الأوروبي (القرون 16–19م)** :ورثت الدولة العثمانية (الإسلامية) دور القيادة في الشرق الأوسط بعد انهيار دولة المماليك، ودخلت في صراع طويل مع القوى الأوروبية (النمسا، روسيا، إسبانيا وغيرها) للسيطرة على أراضي أوروبا الشرقية والبحر المتوسط. وعلى الرغم من أن ميدان الصراع تجاوز الشرق الأوسط نحو أوروبا، إلا أن أحد أهم دوافعه كان السيطرة على القدس والأراضي المقدسة، وقد حرص السلاطين العثمانيون على حمل لقب "خادم الحرمين الشريفين" والتكفل بحماية المقدسات في مكة والمدينة والقدس ، وشهد القرن التاسع عشر تنافسًا بين القوى الاستعمارية الأوروبية على تركة الدولة العثمانية المريضة (المسألة الشرقية) حيث سعت كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا لاقتطاع أجزاء من أملاكها في الشرق الأوسط، مدفوعة بمزيج من الأطماع الاستراتيجية والاعتبارات الدينية (مثل حماية المسيحيين الأرثوذكس التي رفعتها روسيا شعارًا لتبرير تدخلها في الشام والبلقان). ويُمكن اعتبار هذا استمرارًا للصراع التاريخي على مركز العالم القديم، بواجهة جديدة هي التنافس الاستعماري.

- **اتفاقية سايكس–بيكو 1916 وتقسيم الشرق الأوسط** :في خضم الحرب العالمية الأولى ومع سقوط الدولة العثمانية، عقدت القوى المنتصرة (بريطانيا وفرنسا وبدعم روسيا) اتفاقًا سريًا لاقتسام مناطق الشرق الأوسط فيما بينها، فيما عُرف باتفاقية **سايكس–بيكو** .نصّت هذه الاتفاقية على تقسيم منطقة الهلال الخصيب

بين فرنسا وبريطانيا، وتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا وتقسيم الدولة العثمانية التي كانت المسيطرة على تلك المنطقة، وبموجبها وُضعت بلاد الشام والعراق تحت الانتداب الأوروبي (الفرنسي والبريطاني)، وتم رسم حدود كيانات الشرق الأوسط الحديث على نحو يخدم مصالح المستعمرين.

لقد مثّل هذا التقسيم تتويجًا لصراع دولي طويل على المنطقة، وأسفر عن تجزئة العالم العربي والإسلامي إلى دويلات عديدة. وتُتهم هذه المعاهدات الاستعمارية بأنها رسّخت الوجود الغربي في قلب العالم الإسلامي وقوّضت الوحدة السياسية فيه، مما أدى إلى نزاعات مستمرة حتى اليوم بسبب الحدود المصطنعة التي خلفتها. ولا يزال اسم "سايكس بيكو" رمزًا للتآمر الدولي على الشرق الأوسط في الوعي التاريخي الحديث[68]

- **وعد بلفور 1917 وإنشاء وطن قومي لليهود** :خلال الحرب العالمية الأولى أيضًا أصدرت الحكومة البريطانية ما يُعرف بوعد بلفور (نوفمبر 1917م)، وهو رسالة رسميّة تعهّدت فيها بدعم إقامة "وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين". وقد كان هذا الوعد – الذي جاء *بعد شهر واحد فقط من دخول القوات البريطانية القدس عام 1917م* –مؤشرًا على بُعد عقائدي في السياسة الاستعمارية؛ إذ تبنّت بريطانيا (ذات الأغلبية البروتستانتية) تحقيق نبوءات دينية يهودية بإعادة اليهود إلى الأرض المقدسة وبالفعل شجّعت سلطات الانتداب البريطاني هجرة اليهود الأوروبيين إلى فلسطين تنفيذا لهذا الوعد، الأمر الذي قوبل بمقاومة شديدة من السكان العرب المسلمين والمسيحيين. ونتج عن ذلك تصاعد صراع دولي على أرض فلسطين بلغ ذروته بقرار الأمم المتحدة تقسيم فلسطين عام 1947 وإنشاء دولة إسرائيل عام 1948 بدعم القوى الكبرى.

[68] .. doc.aljazeera.netar »سايكس بيكو.. حتى لا ننسى»، موقع الجزيرة الوثائقية، تاريخ النشر: 30 مايو 2019م، زيارة: يونيو 2025م.

لقد أدى إنشاء إسرائيل في قلب الشرق الأوسط إلى فتح فصل جديد من الصراع الدولي ذي الطابع العقدي، حيث تضافرت خلفيات دينية (يهودية ومسيحية صهيونية) مع مصالح استراتيجية في تثبيت كيان احتلالي في أرض مقدسة لدى المسلمين والمسيحيين. ونتج عن ذلك سلسلة حروب عربية-إسرائيلية (1948، 1956، 1967، 1973) شاركت فيها بشكل غير مباشر أو مباشر قوى كبرى كأمريكا والاتحاد السوفيتي، مما رسّخ استمرار استقطاب دولي حول منطقة الشرق الأوسط .ولا يزال الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي إلى اليوم بؤرة توتر عالمي، تتدخل فيه الدول الكبرى وتصدر بشأنه قرارات دولية، وتستقطب قضيته مواقف دينية وسياسية حول العالم، مما يجعل الشرق الأوسط في بؤرة الاهتمام الدولي باستمرار.

- **الصراع على المقدسات واستمرارية الرمز الديني للمنطقة** :تشكّل القدس والمسجد الأقصى نموذجًا صارخًا لاستمرار رمزية الشرق الأوسط الدينية في العصر الحديث. فالمدينة المقدسة التي تضم معالم مقدسة لدى الديانات الثلاث، كانت ولا تزال محل نزاع وصراع. أثناء الاحتلال الصهيوني الحالي، تحظى قضية القدس بمكانة محورية في الوعي الإسلامي والمسيحي العالمي، وتشكل محور صراع سياسي شديد السخونة. أي تغيير أو مساس بوضع القدس أو المسجد الأقصى سرعان ما يتحول إلى قضية دولية؛ فمثلًا أثار إعلان الولايات المتحدة الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل (2017م) موجة رفض عالمية من الأمم المتحدة ومعظم دول العالم، تأكيدًا على أن وضع المدينة ليس شأنًا محليًا بل قضية دولية ذات حساسية خاصة متجذرة في الرمزية الدينية والتاريخية. كذلك تتكرر التوترات حول المسجد الأقصى بين الفلسطينيين والمستوطنين بحماية قوات الاحتلال، فتندلع احتجاجات على مستوى العالم الإسلامي، وتتدخل جهات إقليمية ودولية لمحاولة التهدئة، مما يؤكد مجددًا أن الشرق الأوسط بؤرة صراع عقدي وسياسي عالمي حتى اليوم .وقد وصف تقرير إخباري حديث الأقصى بأنه يتربع على قلب العالم الإسلامي، فهو رمز الشرف والعزّة، وأولى

القبلتين وثالث الحرمين – وهذه المكانة الروحية تفسّر لماذا يُعتبر أي تهديد له استفزازًا لمليار ونصف مسلم ويستدعي استنفارًا دوليًا.

- **الصراعات المعاصرة وتصارع القوى الإقليمية والدولية** :إلى جانب قضية فلسطين، يشهد الشرق الأوسط منذ مطلع القرن الحادي والعشرين سلسلة من الصراعات المسلحة (في العراق وسوريا واليمن وليبيا وغيرها) التي تحولت إلى حروب بالوكالة بين قوى دولية كبرى وقوى إقليمية. فعلى سبيل المثال، أدّى الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 إلى حضور عسكري غربي طويل الأمد في قلب المنطقة وما تبعه من استقطاب بين الولايات المتحدة وإيران على أرض العراق. وكذلك الحرب في سوريا منذ 2011 تحولت إلى ساحة صراع بين روسيا وإيران الداعمتين للنظام من جهة، والولايات المتحدة وحلفائها الداعمين للمعارضة من جهة أخرى، هذه الصراعات – وإن بدت في ظاهرها سياسية – ترتبط أيضًا بخلفيات طائفية ودينية وتاريخية (كما في حالة الصراع السني–الشيعي الذي برز في حروب العراق وسوريا واليمن)، مما يضفي عليها بعدًا عقديًا ويعيد تأكيد مركزية المنطقة روحيًا، فاستمرار وجود تنظيمات متطرفة مثل "داعش" بشعارات دينية، وتورط قوى عالمية في محاربتها على أرض الشرق الأوسط، يُظهر كيف تختلط الاعتبارات الأمنية بالإيديولوجية الدينية في رسم صورة المنطقة عالميًا[69].

ولا أدلّ على استمرار هذه المركزية الروحية والصراعية للشرق الأوسط من الأحداث الأخيرة التي شهدتها المنطقة في **7أكتوبر 2023**، حين أطلقت حركة حماس عمليتها غير المسبوقة التي سمتها **طوفان الأقصى** ضد إسرائيل، وما أعقبها من حرب مدمرة على قطاع غزة تجاوزت آثارها فلسطين لتعيد إشعال التوتر الإقليمي والدولي. فقد برزت إيران مجددًا بوصفها داعمًا صريحًا للمقاومة الفلسطينية، وظهرت تحذيرات متبادلة بينها وبين إسرائيل، وسط

---

[69] carnegieendowment.orgcarnegieendowment.orgعمرو حمزاوي، «الشرق الأوسط... صراعات لا تنتهي»، صحيفة القدس العربي، 4 فبراير 2020م،

مناورات وتحركات عسكرية في البحر الأحمر وسوريا ولبنان واليمن، بما جعل شبح مواجهة إيرانية–إسرائيلية مباشرة أكثر قربًا من أي وقت مضى، وإن اختيار اسم «طوفان الأقصى» نفسه يعكس عمق البعد العقدي للصراع، وربطه بالرمزية المقدسة للقدس التي مثّلت دائمًا قلب هذا الشرق الأوسط، فلا يزال الصراع على هذه الأرض يدور في ظاهره بين دول وتنظيمات، بينما جوهره امتداد لصراع طويل على المقدّس والشرعية التاريخية والدينية، ليبرهن مرة أخرى على أن الشرق الأوسط مهبط الرسالات لم يزل أيضًا ميدانًا لاختبار الإرادات والمصائر الكبرى.

ولا ننسى أيضًا التنافس الإقليمي (الإيراني–التركي–العربي) على زعامة العالم الإسلامي وما يصاحبه من تعبئة خطابية ذات طابع ديني/تاريخي (كإحياء العثمانية الجديدة في خطاب تركيا، أو الثورة الإسلامية في خطاب إيران)، مما يجعل صراعات اليوم امتدادًا لصدى الرمزية القديمة للشرق الأوسط كمركز للخلافة والإمامة والصراع على الشرعية الحضارية.

خلاصة القول، إن شواهد التاريخ القديم والحديث تُبرهن أن الشرق الأوسط سيظل محورًا مركزيًا على خريطة الصراع العالمي، ليس فقط لموقعه الإستراتيجي وثرواته الاقتصادية، بل – وهذا الأهم – لحمولته الرمزية الروحية في وجدان أتباع الديانات السماوية. فهذه البقعة احتضنت مهبط الوحي الإلهي وموطن الأنبياء ومقدسات المؤمنين جميعًا، وبالتالي فإن أي تحول أو نزاع فيها يُستدعى مباشرة إلى المسرح الدولي وتتداوله شعوب الأرض بانفعال واهتمام بالغين.

وهكذا تتعاضد الحكمة الإلهية والتاريخ الإنساني لتأكيد مركزية الشرق الأوسط رساليًا وحضاريًا عبر العصور: فمن جهة قدّر الله أن تكون منه بداية الرسالات ونهايتها، ومن جهة أخرى لم يكفّ البشر عن النظر إليه كقلب العالم الذي تتقرر فيه مصائر الأمم. فإذا كان ختام الرسالات قد انطلق من مكة في قلب الشرق، فإن عالمية هذه الرسالة جعلت الشرق الأوسط أمانة في عنق الإنسانية جمعاء، ومحط أنظارها وصراعاتها إلى قيام الساعة.

الخاتمة

ملخص النتائج

بعد هذه الرحلة البحثية التي مزجت بين التحليل العقدي والتاريخي والجغرافي، أمكن الوقوف على حقيقة أن مركزية الشرق الأوسط في الرسالات السماوية ليست صدفةً جغرافية ولا انغلاقًا دينيًا، وإنما هي جزء من حكمة إلهية شاملة. وقد أبرز البحث جملة من النتائج، من أهمها:

1. أن ظاهرة تركّز الرسالات السماوية في منطقة الشرق الأوسط ترتبط بخطة ربانية متكاملة جمعت بين المكان والزمان والإنسان، متى شاء الله أن ينير العالم برسالاته.
2. أن الطعون الفكرية المعاصرة التي تتهم هذا التمركز بالتحيز أو القصور تغفل عن النصوص القطعية في القرآن والسنة التي تؤكد شمولية الرسالات لكل الأمم، وأن تركيز ذكر أنبياء تلك المنطقة كان لحكمة بلاغية وتأثيرية تخص المخاطَبين أولًا، دون أن يعني ذلك اقتصار الرسالة على جغرافيا محددة.
3. أن البيئة الثقافية واللغوية للعرب، وموقع الجزيرة العربية في قلب العالم القديم، شكّلت أرضًا خصبة لحمل الرسالة الختامية وبثها إلى بقية الشعوب، فتحقق بذلك مقصد عالمية الدين.
4. أن التاريخ الإنساني – قديمًا وحديثًا – ظلّ يؤكد مركزية هذه البقعة من الأرض، سواء في الوعي الديني أو في الصراعات السياسية الكبرى، مما يعكس بجلاء امتداد الأثر العقدي لهذه الأرض في حاضر البشرية ومستقبلها.

التوصيات

انطلاقًا من تلك النتائج، يوصي البحث بـ:

1. تعزيز الدراسات التي تمزج بين العقيدة والجغرافيا والتاريخ لتقديم فهم متكامل للظواهر الدينية، بعيدًا عن القراءات التجزيئية التي كثيرًا ما تؤدي إلى شبهات خاطئة.
2. تقديم مادة علمية رصينة للشباب المسلم وللباحثين المعاصرين، ترد على الطعون العقدية بطريقة هادئة قائمة على الأدلة النقلية والعقلية، وتفسر ظاهرة مركزية الشرق الأوسط في الرسالات ضمن رؤية قرآنية رحبة.
3. تشجيع البحوث المقارنة التي تدرس النصوص الدينية إلى جانب الآثار الحضارية واللغات القديمة، مما يسهم في إضاءة الحكمة الربانية بشكل أوسع وأعمق.
4. الانفتاح على الحوار الأكاديمي مع الأطراف الغربية أو اللادينية لفهم جذور اعتراضاتهم، وتقديم الخطاب الإسلامي في صورته العالمية التي تحتفي بالعدل والرحمة الإلهية لكل الشعوب.

مقترحات للباحثين مستقبلًا

يقترح هذا البحث على الدارسين في المراحل القادمة:

- إجراء دراسات مقارنة موسعة بين النصوص المقدسة في الديانات الثلاث لفهم وحدة الرسالة الإلهية رغم اختلاف الأماكن والأزمنة.
- تحليل الأبعاد الاقتصادية والسياسية في التاريخ القديم التي قد تكون ساعدت على انتشار الرسالات من الشرق الأوسط، ما يعمّق فهم الترابط بين العوامل الروحية والمادية.
- دراسة أثر مركزية هذه المنطقة على التشريعات الاجتماعية والحقوقية في الأديان المختلفة، لمعرفة كيف أسهمت في تكوين الضمير الإنساني المشترك.

وبذلك يختم هذا البحث مسعاه المتواضع في تفسير مركزية الشرق الأوسط في الرسالات السماوية على ضوء الحكمة الإلهية والبعد الجغرافي، راجيًا أن يكون قد أسهم في دفع الشبهة وإرساء الفهم السديد. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

قائمة المراجع

مراجع عربية ومعربة

1. محمد حسن أحمد محمد، «تاريخ الشرق الأوسط من خلال الكتب السماوية: القرآن نموذجًا»، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع19، 2020، ص19–46.
2. السيّد علي الحسيني، «إشكالية انحصار النبوة في الشرق الأوسط»، مركز الرصد العقائدي (العتبة الحسينية)، 27 أكتوبر 2020م.
3. خالد فهمي، «الأمة المصطفاة.. قراءة في أسباب اختيار العرب محلاً لاستقبال الإسلام»، مجلة المجتمع الكويتية، 25 سبتمبر 2023.
4. علي محمود وهويدا حامد، فلسطين: مهد الديانات – دراسة في التاريخ القديم، عمّان: دار شهرزاد، 2017.
5. عبد الله العروي، السنة والإصلاح، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2008.
6. أحمد الجندي، «بعد جدل سؤال خالد منتصر.. اعرف لماذا هبطت الرسالات السماوية الثلاث في الشرق الأوسط»، موقع مصراوي، 23 سبتمبر 2018م.
7. »ظهور الدولة الإسلامية»، موقع موضوع، 13 أبريل 2022، زيارة: يونيو 2025.
8. »سايكس بيكو.. حتى لا ننسى»، موقع الجزيرة الوثائقية، 30 مايو 2019، زيارة: يونيو 2025.
9. عمرو حمزاوي، «الشرق الأوسط... صراعات لا تنتهي»، صحيفة القدس العربي، 4 فبراير 2020م.
10. أحمد صبحي منصور، «أنبياء للصين والهند وأمريكا واستراليا»، موقع أهل القرآن، 14 مارس 2018، زيارة: يونيو 2025.

مراجع إسلامية تقليدية (تفسير وحديث)

11. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة.

12. أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية.

13. الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984.

14. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، دار طيبة، 1999.

15. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، 2002.

16. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر.

17. عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية، مصر، 1356هـ.

18. أحمد بن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة، الرياض.

19. أحمد بن حنبل، المسند، دار المعارف.

20. صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي.

21. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي.

22. يحي بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي.

23. الطبراني، المعجم الكبير، دار إحياء التراث العربي.

24. أبو داود، السنن.

25. ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، دار الجيل، بيروت.

26. مجموع فتاوى ابن تيمية، مجمع الملك فهد.

معاجم ومصادر لغوية

27. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت.

28. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 2004.

29. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008.

30. الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية – صيدا، 1999.

31. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر.

مراجع إنجليزية وأجنبية

32. Islam M. Fakhrul, "Why Were Most Prophets Sent to the Middle East?", ResearchGate, May 2025.

33. James K. Hoffmeier, Akhenaten and the Origins of Monotheism, Oxford University Press, 2015.

مواقع فتاوى وأبحاث إسلامية معاصرة

34. موقع إسلام ويب، الفتوى رقم 379108، «الرد على شبهة تخصيص إرسال الرسل في بلاد العرب وما جاورها»، 12 يوليو 2018.

35. موقع إسلام ويب، الفتوى رقم 112213، «كل أمة قد أُرسل لها رسول»، 13 سبتمبر 2008.

36. موقع الدرر السنية، الموسوعة العقدية، «شبهات حول الإيمان بالرسل

المحتويات

الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام 1
-المقدمة 1
-الدراسات السابقة 2
الفجوة البحثية: 7
-مشكلة البحث 8
-أسئلة البحث 8
-أهداف البحث 9
-أهمية البحث 9
-حدود البحث 10
-منهجية البحث 10
-أدوات جمع المواد وتحليلها 10
هيكلة البحث 11
الفصل الثاني: المفاهيم والأسس النظرية 14
تمهيد الفصل 14
المبحث الأول:التعريفات للألفاظ الرئيسية 15
أولًا :الطُّعون 15
ثانيًا :المركزية 15
ثالثًا :الشرق الأوسط 16
الرسالات السماوية (تعريف لغوي وشرعي) 18
الحكمة الإلهية 18
البعد الجغرافي 19
المبحث الثاني: مفهوم المركزية الدينية والجغرافية 21
المطلب الثاني: بلاد الشام ومركزيتها الرسالية في النصوص الدينية 23
خاتمة المطلب 25
المطلب الثالث: مناطق مباركة أخرى في الشرق الأوسط ضمن الخريطة الرسالية 26
خلاصة المطلب 28
المبحث الثالث: عالمية الرسالات في النصوص السماوية 28
- بعثة الرسل إلى كافة الأمم: 28
- شمول رسالة محمد ﷺ للناس كافّة: 29
- الرسالة رحمة للعالمين 29
- ذكر الأنبياء العالميين وغير المذكورين: 30
الفصل الثالث: الحكمة الإلهية في اختيار الشرق الأوسط 31
تمهيد 31
المبحث الأول: الدلالات العقدية والروحية في اختيار الزمان والمكان 32

المبحث الثاني: البيئة الثقافية واللغوية للعرب 34
- اللغة العربية وبلاغتها: 34
- قوة الحافظة والذاكرة: 34
- صفاتهم الاجتماعية الأصيلة: 34
- عدم هيمنة فلسفات سابقة معقّدة: 35
- الموقع الجغرافي الاستراتيجي: 35

المبحث الثالث: النصوص المؤسسة لاختصاص المنطقة بالوحي 36
الفصل الرابع: تفنيد الطعون المعاصرة في مركزية الشرق الأوسط رساليًا 39
تمهيد الفصل 39
المبحث الأول: عرض أبرز الطعون المعاصرة 40
المبحث الثاني: الردود العقلية والنقلية 41
شمول الرسالات لجميع الأمم وعدم انحصارها جغرافيًا: 41
تفسير غياب ذكر أنبياء مناطق أخرى تاريخيًا: منظور علمي ونقلي 41
حكمة تركيز الرسالات في ذرية إبراهيم عليه السلام 43
الاعتبارات الجغرافية والحضارية لظهور الرسالات في الشرق الأوسط 44
البعد اللغوي والثقافي: 45
الفصل الخامس: عالمية الرسالة وانعكاس مركزية الشرق الأوسط في الوعي المعاصر 47
تمهيد 47
المبحث الأول: كيف تحققت عالمية الرسالة رغم انطلاقها من الشرق الأوسط 48
المبحث الثاني: مركزية الشرق الأوسط في الوعي السياسي والديني المعاصر 51
- الحروب الصليبية (1095–1291م): 51
- الصراع العثماني – الأوروبي (القرون 16–19م): 52
- اتفاقية سايكس–بيكو 1916 وتقسيم الشرق الأوسط: 52
- وعد بلفور 1917 وإنشاء وطن قومي لليهود 53
- الصراع على المقدسات واستمرارية الرمز الديني للمنطقة: 54
- الصراعات المعاصرة وتصارع القوى الإقليمية والدولية: 55

الخاتمة 57
ملخص النتائج 57
التوصيات 57
مقترحات للباحثين مستقبلًا 58
قائمة المراجع 60